الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 18 كانون الثاني 2025
العدد 5405 السنة التاسعة عشرة
Samedi 18 Janvier 2025 no 5405 19ème année

24 صفحة
50000 ليرة

كلمات

نكبة نصارى الشام
كي لا يتكرّر التاريخ مرتين

هل يلتزم العدو بمهلة الـ60 يوماً؟ 3-2

المقاومة لن تبقى صامتة إذا لم يخرج العدو نهائياً ويوقف الخروقات

عقيدة نتنياهو: الفرصة تاريخية لـ«تحرير» لبنان من المقاومة

العمليات الواسعة قد تتوقف لكنّ العدو سيقاتلنا بوسائل أخرى

ماكرون «يكزدر» في بيروت ويواصل خطف جورج عبدالله 5

بري يفتح لسلام طريق التأليف 4

(أ ف ب)

قضية اليوم

من يضمن التزام العدوّ بالانسحاب الكامل؟

إبراهيم الأمين

عشرة أيام يفترض أن يعلن بعدها انسحاب العدو الكامل من الأراضي اللبنانية، واعتبار وقف إطلاق النار شاملاً بصورة فعلية. وهذا يعني أن على العدو وقف كل أنواع الخروقات، البرية والجوية والبحرية، مقابل قيام الجيش اللبناني، بمواكبة قوات الـ«يونيفل»، بالانتشار جنوبي نهر الليطاني، وضمان عدم وجود أيّ سلاح أو مسلحين خارج القوات العسكرية اللبنانية.

الأميركيون واثقون - كما يصرّحون - بأن إسرائيل ستلتزم بالاتفاق وستنسحب تماماً، مساء الأحد في 26 من الشهر الجاري. لكنّ في الركون الى التعهدات الأميركية ضرباً من الجنون، ربطاً باختبار ما مرّ من مهلة الستين يوماً، إذ ما كان يفترض أن تقدم إسرائيل على ما قامت وتقوم به منذ 27 تشرين

> **المقاومة لن تبقى صامتة إذا مرّت مهلة الـ 60 يوماً من دون نتيجة كاملة**

الثاني الماضي، وهو ما تبرّره واشنطن بأنه «عملية تنظيف» في المنطقة الحدودية، وجزء من تفاهم جانبي تمّ مع إسرائيل، لضمان حريتها في التثبّت من عدم وجود بنية تحتية لحزب الله، ويتيح للعدو توجيه ضربات ضد الحزب في العمق اللبناني، وهذا ما حصل فعلياً. ولم تبادر إسرائيل الى أيّ خطوة لتطبيق الاتفاق، إلا عشية انتخاب العماد جوزف عون رئيساً للجمهورية، عندما أخلت معظم القطاع الغربي، لكن من دون أن تسمح لأهالي هذه القرى بالعودة إليها قبل انتهاء مهلة الستين يوماً. في غضون ذلك، تشير المعطيات الواردة من الأراضي المحتلة إلى أن مستوطني المستعمرات الحدودية مع لبنان بادروا الى تفقد منازلهم، وعاد بعضهم إليها. ورغم تحديد الأول من آذار المقبل موعداً رسمياً لعودتهم، فإن نحو 35 في المئة من المستوطنين يعملون على تأهيل منازل قابلة للسكن، أو عادوا العمل في ورش زراعية وصناعية خفيفة، فيما تستمر الخلافات بين المجالس المحلية والحكومة حول التعويضات المالية.

لكن، هل هناك احتمال لإقدام العدو على أيّ مناورة؟ الاحتمال كبير جداً، والقلق قائم أيضاً من استمرار احتلال العدو لبعض النقاط. ومحاولة فرض تفاوض جديد، وطرح تمديد مهلة الستين يوماً. كذلك، ليس هناك أي نوع من الضمانات بعدم قيام العدو بأعمال عسكرية أو أمنية، ليس في المنطقة الحدودية فقط، بل كل الجنوب وحتى بيروت والضاحية والبقاع، بما يعيد إشعال الجبهة، وهو خيار يبدو مرغوباً من جانب

(أ ف ب)

قيادة العدو، ولا أحد يعرف ما إذا كانت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب ستمارس الضغط الكفيل بمنع إسرائيل من إعادة إشعال الجبهة مع لبنان.

ورغم الحاجة إلى التدقيق في ما ينوي العدو القيام به، والسؤال عن الدور الأميركي، فإن نقاش هذه الأمور يبدو غائباً في لبنان الذي دخل مرحلة جديدة بعد انتخاب العماد عون رئيساً وتكليف القاضي نواف سلام بتشكيل الحكومة، وهو ملف تغلّفه «أزمة ثقة» بين المكوّنات السياسية، بسبب عدم الوضوح في طريقة عمل الحكم الجديد مع استحقاق تطبيق قرار وقف إطلاق النار.

بهذا المعنى، بإمكان خصوم المقاومة، في الداخل أو الخارج، الحديث عن أنها تتحمل مسؤولية الاتفاق الذي وقّعت عليه، وأنه لا يحقّ لها المطالبة بما لم يرد فيه من بنود وضمانات. لكن، وإن كانت الملاحظات على الاتفاق واقعية جداً، وخصوصاً كما عرضها النائب جميل السيد بعد اجتماعه مع رئيس الحكومة المكلف، فإن السؤال ليس موجّهاً فقط الى المقاومة، بل هو موجّه أولاً الى الرئيس عون الذي يعرف أن محاولة العدو تعطيل الاتفاق أو المناورة حوله، ستكون موجّهة الى عهده. وبالتالي، فإن على الرئيس عون، كما الرئيس المكلف، القيام باتصالات حثيثة وسريعة مع الولايات المتحدة وفرنسا لضمان التزام العدوّ بتنفيذ الاتفاق، واعتبار هذه المهمة أولوية تتقدم حتى على تشكيل الحكومة الجديدة. إذ إن أيّ محاولة لحشر المقاومة داخلياً لا تفيد في معالجة المشكلة التي ستعود لتطلّ برأسها، وخصوصاً أن أي محاولة من العدو للتصرف وفق ما يراه مناسباً، ستمثل دعوة صريحة للمقاومة إلى إطلاق برنامج العمل المباشر لإلزام العدو بتنفيذ الاتفاق. وهي مهمة سيكون لها أثرها الكبير على الاستقرار الداخلي، وأبعادها المتصلة بما يجري في سوريا، وخصوصاً أن العدو نفّذ انتشاراً عسكرياً واسعاً في المناطق السورية المحاذية للحدود، يشكّل تهديداً مباشراً للبنان، ما يعني أن على المقاومة أن تكون مستعدة للتعامل معه وليس انتظار الأفعال منه.

والقلق مردّه أيضاً إلى ما هو سائد في أوساط العدو، وحتى عند الأميركيين، من أن الحرب الأخيرة لم تكن كافية لإعلان هزيمة المقاومة في لبنان. وهناك كلام كثير في هذه الأوساط عن أن حزب الله عمد في الأسابيع الأخيرة الى إعادة ترميم بنى بشرية وعسكرية للمقاومة في أكثر من منطقة لبنانية. وهو كلام يشكل عادة تمهيداً لعمل عسكري أو أمني ما. وما لم تبادر واشنطن وباريس الى خطوات عملية باتجاه وقف فعلي للحرب، فإن استمرارها لن يكون بالضرورة على الشكل الذي شهدناه منذ 27 تشرين الثاني الماضي، لأن من الساذجة الاعتقاد بأن المقاومة ستقف مكتوفة الأيدي أمام عدوان من هذا النوع. وعندها، لن يكون هناك أيّ مجال لأيّ بحث في الخيارات الدبلوماسية المتاحة الآن فقط. إذ ليس من المنطقي، بعد كل ما جرى، أن يكون بيننا من يعتقد بأن المقاومة في لبنان عاجزة عن مواصلة الحرب، أو أن اللبنانيين سيصدّقون أن الدبلوماسية تعيد حقاً مسلوباً، وهي حال العرب منذ قيام هذا الكيان البغيض.

عقيدة نتنياهو: الفرصة تاريخية لـ«تحرير» لبنان من المقاومة!

علي حيدر

تباين المواقف من الترجمة العملية للقرار 1701 والاتفاق حول تنفيذه، لا ينبع من الاختلاف في الاجتهادات أو في تفسير معاني المفردات، بل يعكس تبايناً في الخيارات الإستراتيجية التي تتبناها القوى السياسية والدولة اللبنانية في مواجهة المخاطر التي تهدد لبنان وأمنه. وهو يجسد تموضع كل مؤسسة وشخصية سياسية على قاعدة الموقف من طموح العدو الذي عجز عن تحقيقه بالحرب. لذلك، تشكل هذه القضية أحد أهم العناوين والتحديات التي ستحدد مستقبل الوضع في لبنان واستقراره ووحدته الوطنية وصولاً إلى التعايش المشترك.

ليس خافياً أن إصرار العدو على توسيع نطاق تنفيذ القرار 1701 ليتجاوز جنوب نهر الليطاني إلى شماله وباقي المناطق اللبنانية، هو مطلب إستراتيجي إسرائيلي يتصل ببقاء المقاومة كقوة دفاع وحماية للبنان، بعدما ثبت في الحرب الأخيرة أن كلفة محاولة اجتياح الجنوب، وتكرار سيناريو 1982، أكبر من أن يتحملها العدو، فضلاً عن تعذّر تنفيذ الأهداف المرجوة منه. لذلك، لم يبقَ أمامه سوى الرهان على خيار بديل يتمثل بمحاولة تحقيق ما أمكن، بأدوات داخلية لبنانية وبدفع أميركي. تبلور هذا الخيار - الرهان خلال الحرب بعد فشل رهان واعتبر رئيس وزراء العدو أيضاً أن الظروف السياسية توفر فرصة للشعب اللبناني من أجل التخلص من حزب الله «لم تكن موجودة منذ عقود». وكما هو واضح، فإن عقيدة نتنياهو تقوم على أن الحرب على لبنان والمقاومة وفّرت فرصة إستراتيجية وتاريخية للخصوم الداخليين من أجل «تحرير» لبنان من حزب الله، وأن ذلك يمكن أن يتم عبر السياسات الأميركية في لبنان والمنطقة.

وفي السياق نفسه، فإن السقف الأدنى الذي يراهن العدو عليه أيضاً، هو منع حزب الله من إعادة بناء قدراته وتطويرها. وقد شكلت هذه القضية أحد أهم الهواجس التي سيطرت على قيادة العدو خلال مفاوضات وقف الحرب، انطلاقاً من تسليم إسرائيل بتعذر تدمير كل قدرات الحزب الذي تبيّن خلال الحرب أنه كان لا يزال يملك ما يمكّنه من خوض مواجهة طويلة، وبمسار تصاعدي في دك العمق الإسرائيلي كلما طال أمد الحرب. ونبعت هذه الهواجس أيضاً من إدراك إسرائيل بأن الحزب يملك الخبرات والبنى التحتية التي تسمح له بإعادة تطوير قدراته في وقت غير طويل. لذلك، دعا نتنياهو إلى قطع الأوكسجين عن حزب الله عبر سوريا

> **استدارة العدو إلى الداخل اللبناني تستند إلى فرضية أن هناك من سيلاقيه في هذا الداخل**

(قبل سقوط النظام السوري)، وصاغ لهذه الغاية تفاهماً مع الولايات المتحدة يمنح إسرائيل هامشاً عدوانياً في مرحلة ما بعد الحرب يُمكنها من استهداف ما ترى أنه تهديد لها.

استدارة العدو إلى الداخل اللبناني تستند أيضاً إلى فرضية أن هناك من سيلاقيه في هذا الداخل بعد قيام جيشه بتدمير قدرات حزب الله وقتل قادته وإخضاع بيئته وتطويع إرادة القتال، وهذا ما يفرض إخراج قوى المقاومة من صناعة القرار السياسي أو على الأقل تهميشها، وإنتاج سلطة سياسية معادية للمقاومة تنفّذ الأجندة الأميركية.

إلا أن ما يطمح إليه العدو، ومعه الإدارة الأميركية، يتعارض مع معطيات الواقع اللبناني، والتوازنات التي يشكل تجاوزها خطراً على لبنان ووحدته الوطنية واستقراره. وهو مرتبط، بالدرجة الأولى، بالخيارات التي سينتهجها المسؤولون اللبنانيون الذين يُفترض أنهم يدركون أن المقاومة تستند إلى إرادة شعبية واسعة، وتمثل تشكل قوة اجتماعية كبيرة جداً لا يمكن تجاوزها. إلى جانب أن المطلوب تحديد كيفية مواجهة المخاطر التي يشكلها العدو الإسرائيلي على واقع لبنان ومستقبله، خصوصاً أنه لا يمكن رهن مصير لبنان لمتغيرات أظهرت العقود الأخيرة أنها متسارعة وتنطوي على مخاطر إستراتيجية ووجودية.

غوتيريش «مطمئن»: إسرائيل لن تمدّد الـ 60 يوماً

أمال خليل

في ختام زيارته لمقرّ قيادة قوات الـ«يونيفل» أمس، أكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش لقيادة هذه القوات أن «لديه تطمينات بأن إسرائيل لن تمدد هدنة الستين يوماً» بحسب مصدر مطلع. وفي خطابه أمام حفظة السلام، قال غوتيريش إن «استمرار احتلال الجيش الإسرائيلي في منطقة عمليات اليونيفل، وتنفيذ عمليات عسكرية داخل الأراضي اللبنانية، يمثّلان انتهاكاً للقرار 1701، ويشكلان خطراً مستمراً على سلامتكم وأمنكم. وهذا يجب أن يتوقف».

ومع اقتراب انتهاء الـ 60 يوماً بعد وقف إطلاق النار في 27 تشرين الثاني الماضي، تتزايد مخاوف الـ«يونيفل» والجيش اللبناني من نيات العدو باستمرار احتلال أراضٍ لبنانية وتمديد عدوانه وخروقاته. وزاد من هذه المخاوف أن الاجتماع الرابع للجنة الإشراف على تطبيق اتفاق وقف إطلاق النار، الذي كان يفترض أن ينعقد أمس ويحمل انفراجات على صعيد انسحاب العدو وانتشار الجيش في القطاعين الغربي والأوسط، أرجئ الى الإثنين المقبل على نحو مبدئي. وعليه، يتوقع أن يتأجل مرة أخرى انسحاب العدو وانتشار الجيش، علماً أن خطة انتشار الجيش على طول الحدود الجنوبية كان مقرراً أن تنجز في غضون 15 يوماً، بدءاً من السابع من الشهر الجاري. ورغم انقضاء أكثر من عشرة أيام، لم يتمكن الجيش سوى من الانتشار في الناقورة ومثلث طيرحرفا - الجبين. فيما لفت مصدر متابع «الأخبار» الى ان الجيش جهّز 25 موقعاً في البلدات الممتدة من الناقورة حتى ميس الجبل، تنتظر إشارة لجنة الإشراف لاستعادتها.

وكان غوتيريش قد تفقد قوات الـ«يونيفل» للمرة الأولى منذ أربع سنوات، واستمع من قائدها ارلودو لانارو الى تقييم لمجريات مرحلتي العدوان الإسرائيلي ووقف إطلاق النار. وأكد الدبلوماسي الأممي أمام كبار ضباط الـ«يونيفل» أن «قرار بقاء القوات الدولية في مواقعها اتُّخذ بعد دراسة مُعمَّقة لسلامتكم وأمنكم، وجميع الأطراف ملتزمة بضمان سلامة موظّفينا». وأشار

> **إرجاء اجتماع لجنة الإشراف على الهدنة يؤجّل انتشار الجيش مجدداً**

من جهة أخرى الى أن الـ«يونيفل» كشفت «عن أكثر من 100 مخزن أسلحة تعود لحزب الله أو مجموعات مسلحة أخرى منذ 27 تشرين الثاني الماضي».

جولة غوتيريش بالمروحية قادته الى نقاط متقدمة لـ«يونيفل» على الخط الأزرق في القطاع الغربي في رأس الناقورة واللبونة وأطراف علما الشعب، فيما واصلت قوات الاحتلال الإسرائيلي تنفيذ أعمال تفجير وتمشيط في بلدتَي ميس الجبل وعيتا الشعب، وخلّفت سورياً أثناء رعيه الماشية في رميش.

(أ ف ب)

لم تنتهِ الحرب

وليد شرارة *

الحرب لم تنتهِ، خاصةً بالنسبة إلينا. ربما انتهت الجولة التي بدأت بعد عملية «طوفان الأقصى» البطولية، لكن الحرب بيننا وبين إسرائيل لم ولن تنتهي. لقادتنا العظام ولأهلنا الكرام، في لبنان وفلسطين، واليمن وإيران والعراق وسوريا، ولجميع الشهداء من العرب والمسلمين، ومن أحرار العالم، الذين ارتقوا على طريق القدس، حق علينا بأن نثأر لهم من الصهاينة. حقهم علينا، ونحن ما زلنا ننتشل إلى اليوم جثامينَ وأشلاء طاهرة، هو ألّا يهدأ لنا بال، وألّا تلهينا أولوية، عن الأولوية الأولى، وهي العمل الدؤوب، بتصميم وعناد لا يتزعزعان، 24 ساعة في اليوم و7 أيام في الأسبوع، لسنوات أو حتى لعقود قادمة، للقضاء على كيان الأنجاس وإفنائه من فيه، طال الزمن أم قصر.

مشروع المخلصين من أبناء هذه الأمّة يتلخّص في المرحلة التاريخية الراهنة بهدف واحد، سبق للإمام الخميني العظيم أن حدّده منذ عقود: اقتلاع الغدة السرطانية من الجذور. ومن بعد ذلك، فليفعل من يشاء ما يشاء. سيسارع المتفزلكون، الإنسانويون المغفلون، الذين أعمت «أنوار» الغرب أبصارهم، لإدانة هذا الكلام، أو للسخرية منه، وتوصيفه على أنه ارتداد إلى فهم بدائي للسياسة والحرب، باعتبارهما فعلاً انتقامياً. لهؤلاء نقول إن الأمر لا يقتصر على الانتقام، رغم كونه حقاً لنا، شاء من شاء وأبى من أبى. تسارع التاريخ خلال الأشهر الـ15 الماضية وتكثّفه، أعاد تثبيت مجموعة من الحقائق بلا التباس، وفي مقدّمتها الطبيعة الوجودية لصراعنا مع الجماعة الوظيفية التي زرعها الغرب في فلسطين، والتي «تحوّرت» من قاعدة عسكرية للإمبريالية إلى غدة سرطانية تنشر المرض الخبيث في الجسد العربي-الإسلامي برمّته، وتهدّد بقاءه. لقد أضحى زمننا نحن، أبناء هذه البقعة من العالم، هو زمن الإبادة، ومقاومتها. وبعد الإبادة، لن تكون السياسة كما قبلها.

الزمن العالمي ليس واحداً، على عكس ما يعتقده المغفلون المتغربون، خاصةً ضحايا «متلازمة دبي» بينهم. الاكتشافات الكبرى التي مثّلت بالنسبة إلى الغرب انبلاجاً لفجر «العالم الحديث»، جسّدت في الآن نفسه نهاية لعوالم «المكتشفين» من السكّان الأصليين في الأميركيتين وفي أستراليا ونيوزلندا، وفناء لحضارتهم. وكذلك بالنسبة إلى ملايين الأفارقة الذين سيقوا كعبيد نحو المستعمرات المكتشفة. الأمر نفسه ينطبق على عصر العولمة السعيدة ووعودها الخرافية بالنسبة إلى مجتمعات الغرب المترفة، والذي ترجم انقضاضاً على بلدان الفضاء العربي-الإسلامي، وحروباً تعيث في بعض بلدانه خراباً ودماراً، فتأتي على عمرانها واجتماعها.

زمن الإبادة وسلام المقابر

لا بدّ من التوقّف قليلاً عند مفهوم «السلام من خلال القوة» الذي استخدمه دونالد ترامب تعليقاً على اتفاق وقف إطلاق النار في غزة. يتّضح المعنى بجلاء عندما أضاف: «سنغتنم الفرصة بعد وقف إطلاق النار هذا لمواصلة توسيع اتفاقيات أبراهام التاريخية». بكلام آخر، يرى ترامب أن حرب الإبادة التي شنّتها إسرائيل على غزة، وعدوانها على لبنان وسوريا، قد وفّرا الشروط المناسبة لاستئناف مسار «التطبيع» مع الجزء «المفيد»، أي النفطي، والقابل للتطويع بنظره، من الشرق الأوسط، وبقصد تحديداً الآن السعودية. قامت مقاربة القوى الاستعمارية التقليدية على تقسيم البلدان الخاضعة لسيطرتها إلى مناطق «مفيدة»، أو «البلد المفيد»، يجري دمجها في منظومة علاقات التبعية الاقتصادية والسياسية، مع توفير قدر من الاستقرار الضروري لسير الأعمال، ومناطق «غير مفيدة»، لا تحتوي على الموارد الحيوية، وتشكّل مصدراً للتهديد أو الإزعاج الأمني والسياسي، فيتمّ من الحين إلى الآخر تجريد حملات عسكرية لتأديبها وإخضاعها تراوح شدتها بين «جزّ العشب» على الطريقة الإسرائيلية وحرب الإبادة التي كانت غزة أخيراً مختبراً لها. تتطابق هذه الرؤيا الأميركية للإقليم بجزئيه المفيد وغير المفيد مع تلك الإسرائيلية التي عبّر عنها نتنياهو في خطابه، المدعّم بالخرائط، أمام الاجتماع الأخير للجمعية العامة للأمم المتحدة. مهمّة الوكيل السرطاني الصهيوني، في منظومة السيطرة الأميركية الجديدة، هي تولي عمليات «تأديب» وتخريب المشرق الخطر و/أو غير المفيد.

التحوّل السرطاني للجماعة الوظيفية

لن تنتهي الحرب بالنسبة إلى المحور الأميركي-الإسرائيلي أيضاً. ربما ستتوقّف العمليات العسكرية الواسعة والمستمرّة بوتيرة مرتفعة، لكن الحرب ستخاض بجميع الوسائل الأخرى، السياسية والاقتصادية والإعلامية-الأيديولوجية والأمنية والعمليات العسكرية الخاصة، سعياً إلى القضاء على قوى المقاومة. وإذا كان الدور الوظيفي للكيان الصهيوني يمثّل في أحد أبعاده امتداداً تاريخياً للدور الوظيفي للجماعات اليهودية في شرق أوروبا وبعض غربها لمصلحة الطبقات المسيطرة في طور الرأسمالية الأول، كما شرح الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه المهم «الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد»، الصادر عن «دار الشروق» في 2002، فإنّ ما ينبغي لحظه هو التحوّل السرطاني الذي شهده هذا الكيان في سياق أزمة الهيمنة الإمبريالية الأميركية وتراجعها، وما تثيره من توحّش لمحاولة وقف هذا التراجع. بقاء الأمّة رهنٌ بسياسة تبلور الأدوات والعلاجات اللازمة لمكافحة المرض الخبيث واجتثاثه من الجذور.

المشهد السياسي

سلام يلتقي بري ويراسل حزب الله
طريق التأليف سالكة

المناخ السلبي الذي نجم عن مسار تسمية القاضي نواف سلام لتشكيل حكومة العهد الأولى بدأ بالانحسار، على وقع مؤشرات تُفيد بأن أصحاب القرار استوعبوا الانتكاسة وسارعوا إلى معالجتها، حتى لا تتمدّد على بقية الملفات. وفيما كانَ الجميع ينتظر لقاء الرئيس سلام برئيس مجلس النواب نبيه بري، أوحى الأخير بأجواء إيجابية، مشيراً إلى أن «اللقاء كانَ واعداً». وهو

نقاش حول آلية اتخاذ القرار في الحكومة بما يمنع كسر أحد، وضمان تنفيذ القرار 1701 ضمن حدوده الجغرافية

ما أراح المتوجّسين من استحالة صياغة تفاهم بين سلام والثنائي أمل وحزب الله اللذين تفاهما على البقاء معاً في الحكومة أو الخروج منها معاً. وعزّز سلام هذا الجو حين أكّد «أنني ودولة الرئيس نقرأ في كتاب واحد هو الدستور المعدّل بموجب اتفاق الطائف. هذا كتابنا الوحيد الذي نعمل بموجبه معاً». واستبق اللقاء باتصالات كسرت الحلقة المُقفلة ووضعت قطار تشكيل الحكومة على السكة. وإذا لم يحدث أي تطوّر سلبي، يُمكن القول إن «موضوع المشاركة من عدمها أصبحَ إلى حدّ ما وراء الثنائي وهو يسعى اليوم إلى تحسين شروط مشاركته فيها»، خصوصاً أن حزب الله وحركة أمل لمسا إصراراً لدى سلام على ألّا يعزل الثنائي نفسه

(هيثم الموسوي)

عن الحكومة. وعُلم أن الرئيس الذي كانَ قائماً، ثم بداية فككفة العقد في ظل تجاوب الرئيسين جوزيف عون وسلام من دون أن يعني ذلك أن الرجلين يتصرفان من منطلق ضعف، لكنهما يتعاملان بموضوعية وبخلفية من يدرك دقة التركيبة». ولفتت إلى أن «عون قال إنه لن يوقع حكومة لا يشارك فيها حزب الله وحركة أمل، وإن سلام حريص على موافقة الثنائي عليها»، لكنّ مقاربة الأمور هذه المرة «ستكون مختلفة». وهذا ما يفسّر كلام المعاون السياسي للرئيس نبيه بري، النائب علي حسن خليل، الذي حاول في مقابلة تلفزيونية أول أمس، تخفيف التشنج بالقول: «إننا منفتحون على حوار إيجابي مع رئيس الحكومة المكلف، وكل الكلام التشكيكي غير صحيح. ببساطة كان لدينا مرشح وخسر».

وكشفت مصادر مطّلعة على اجتماع بري وسلام أن «الأخير خرج من عين التينة مرتاحاً، وأسرّ إلى مَن سأله بأنه قال للرئيس برّي إنّه كانَ يتمنى تشكيل حكومة مصغّرة. لكنه لمس من النقاشات مع الكتل النيابية أن هذا الأمر غير ممكن، وهو سيعود إلى تشكيل حكومة من 24 وزيراً، إلا أنه «يصرّ على حكومة تضمّ اختصاصيين»، مشيراً إلى أن «برّي لم يُبد اعتراضاً على ذلك»، وعليه أظهر سلام ارتياحاً لمناخ التفاهم، مشيراً إلى أن اللقاء كانَ محطة ساعدت في قلب الأمور من مناخ سوداوي إلى مناخ واعد.

ومساءً أكّد بري في تصريحات لـ«الجديد» أن المسار السياسي في لبنان يتجه نحو الحل، مشيراً إلى أن «رئيس الحكومة متعاون»، لكنه لم يدخل في تفاصيل الحقائب أو الأسماء مع سلام. وحول ما إذا كانت الحكومة المقبلة ستكون حزبية سياسية أو تكنوقراط، أكّد برّي أن «تحديد شكل الحكومة من اختصاص الرئيس المكلّف». وفي ما يتعلق بمشاركة الثنائي الشيعي في الحكومة، أشار برّي إلى أن «الثنائي يوافق على الأسماء التي يعرضها الرئيس المكلف بشرط أن يكون الشخص المقترح كفُوّاً، أما إذا لم يكن كذلك فيتم رفضه حتى لو كان خيبي». وشدّد على موقفه بعدم قبول عزل أي مكوّن سياسي في لبنان، قائلاً: «لم نقبل بعزل أي مكوّن سابقاً ولن نقبل به اليوم»، مشيراً إلى أنه «لا أحد يقبل بعزل حزب الله (...) طالما أنه في الله في السما، حزب الله عالأرض».

وفيما يحاول سلام العمل بشكل مضبوط من دون إعطاء تفاصيل كثيرة، علمت «الأخبار» أن اتفاقاً جرى حول خطوط عريضة للانطلاق منها نحو تفاهمات أوسع، مع تمسّك سلام بـ«استقلاليته» ودفاعه عن هامش واسع في تحديد معالم الحكومة التي يريد تشكيلها. ومن بين هذه الخطوط، أن الحكومة لن تضم شخصيات حزبية بالمعنى التقليدي، لكنه سيتشاور مع القوى السياسية في الأسماء، ويُمكن لهذه القوى أن تعرض أسماء لشخصيات تكون مقبولة، أو أن ترفض أسماء تعتبرها غير مناسبة. ويجري الحديث عن رغبة القوى البارزة في إبقاء توزيع الحقائب وفقَ الصيغة الحالية مع إجراء بعض التعديلات، إذ يصر الثنائي على عدم ترك وزارة المالية، علماً أن لسلام تصوّره المختلف وهو ما سيظهر بعد تشاوره مع الرئيس عون الذي لم يخرج من أوساطه أي كلام حول تصوّره لشكل الحكومة.

كما دار نقاش بين القوى البارزة حول آلية اتخاذ القرار في مجلس الوزراء الذي ستكون التحالفات فيه مختلفة بعض الشيء عن السابق، إذ لن يكون فيه «ثلث ضامن» لأحد. لذلك ستراعي الآلية ألّا يشعر أي طرف بأنه يسيطر على القرار أو أن لا تأثير له. ومن بين الصيغ المطروحة أن يُصار إلى اتخاذ القرار بحسب الملفات، فإذا كانت ملفات لتسيير أعمال المواطنين والدولة يُتخذ القرار بالتصويت، أما إذا كان القرار متعلقاً بملفات حساسة فإن على الحكومة أن تتخذ قراراً بالتوافق». وفيما قالت مصادر معنية بالمفاوضات إن البيان الوزاري لن يكون مشكلة، أكّدت أن تفسير القرار 1701 متفق عليه وتطبيقه محصور جنوبيّ الليطاني، أما مسألة التعيينات فلا حديث عنها الآن.

(الأخبار)

تقرير

ماكرون «يكزدر» في بيروت ويواصل خطف جورج عبدالله
لماذا يوافق لبنان على مؤتمر باريس؟

نتائج... لكن يجب تسريع العملية وتأكيدها على المدى الطويل من خلال الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من جنوب لبنان، واحتكار الجيش اللبناني بشكل كامل للسلاح». من جهته، شدّد عون على «أهميّة تثبيت وقف إطلاق النار وانسحاب إسرائيل من الأراضي الّتي لا تزال موجودة فيها، ضمن المهلة المتّفق عليها في اتفاق وقف إطلاق النّار»، داعياً إلى «إعادة الأسرى، فضلاً عن إعادة إعمار القرى والمناطق اللّبنانيّة الّتي دُهمّرت جرّاء العدوان الإسرائيلي الأخير». واعتبر أنّ «الاتفاق الذي تمّ التّوصّل إليه في غزة، لا بد أن يحقّق نقلةً نوعيّةً إذا التزمت به إسرائيل». وطلب من ماكرون «الإيعاز إلى شركة توتال بالعودة لمواصلة عمليّات التّنقيب عن النّفط في البلوكات النّفطيّة البحريّة».

وتعليقاً على مؤتمر باريس لدعم لبنان الذي دعا إليه ماكرون، نصحت مصادر مطّلعة على الاتصالات العربية والدولية بشأن دعم لبنان مالياً بالتروي في قبول الدعوة.

مؤتمر باريس كالمؤتمرات التي سبقته سيكون من دون نتائج عملية

وأشارت إلى أنه «قد يكون من الأفضل للبنان بحث الأمر مع عواصم عربية كالرياض والكويت، وربما من الأفضل انعقاد المؤتمر في إحدى هاتين العاصمتين، لأن دول مجلس التعاون، ولا سيما السعودية والكويت وقطر، أعربت عن استعدادها لدعم لبنان، وهناك فرصة للحصول على دعم إضافي من العراق، كما أن لبنان لا يجب أن يكون عقبة أمام وصول دعم إيراني، خصوصاً في ما يتعلق بعملية إعادة الإعمار. بينما ستكون لقاءات باريس كسابقاتها، من دون نتائج عملية، وستعيد رهن لبنان وأصوله بأي دعم من المجتمع الدولي الذي لا يبدو مستعداً لتقديم أي هبة، بل المزيد من القروض مقابل استثمار أصول الدولة اللبنانية».

وكان ماكرون، عقد خلوة مع الرئيس بري للبحث في عدة ملفات أبرزها «تشكيل الحكومة بشكل سريع وبالتعاون مع مختلف الأفرقاء، وتطبيق اتفاق وقف إطلاق النار، والضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي اللّبنانيّة ضمن المهلة المحدّدة»، فضلاً عن «البحث في مشاريع إعادة الإعمار وسُبل الدعم الذي سيتمّ تقديمه للبنان». وتبعت الخلوة مأدبة غداء على شرف ماكرون. وكان ماكرون التقى الرئيس نجيب ميقاتي الذي سمع من الزائر الفرنسي «امتنان فرنسا وتقديرها للرئيس ميقاتي وللمهمة التي قام بها على مدى سنوات لخدمة الجميع في لبنان، ولا سيما خلال المرحلة الصعبة إبان الحرب الأخيرة».

(الأخبار)

(أ ف ب)

تقرير

فوضى عارمة على الحدود الشمالية: تهريب بضائع وأشخاص وأسلحة

نجلة حمود

فوضى عارمة تسيطر على القرى والبلدات الشمالية في غياب أي رقابة. فمنذ سقوط النظام السوري السابق، باتت الحدود الشمالية مشرّعة أمام كل أنواع التهريب في الاتجاهين، إن عبر المعابر الشرعية المقفلة رسمياً والتي يجري العبور بجانبها منذ إغلاقها بسبب القصف الإسرائيلي، أو عبر المعابر غير الشرعية التي تربط بين البلدين.

عمليات التهريب تجري بشكل علني وفي وضح النهار، إذ تقفل الشاحنات منذ ساعات الصباح الأولى الطرق المؤدية إلى بلدات الدريب الأعلى (شدرا ومشتى حسن ومشتى حمود، ومنها إلى وادي خالد)، ما يؤدي إلى ازدحام خانق يعطّل الحياة اليومية لأهالي هذه القرى التي لا تصلح طرقاتها لمثل هذه الحركة النشطة، اللافت أن الشاحنات المحمّلة بالبضائع تمر بحاجز للجيش اللبناني في بلدة شدرا، ينحصر دوره، في ظل غياب قرار رسمي بمنع التهريب، بتسجيل البيانات الخاصة للشاحنات التي تدخل إلى الأراضي السورية وتصل إلى طرطوس واللاذقية وحمص وحماة من دون أي عراقيل على طرفي الحدود، وخصوصاً من الجانب السوري الذي كان يعمد سابقاً إلى ضبط الحدود من جانبه.

من حاجز شدرا إلى مشتى حسن ومشتى حمود ووادي خالد، تواصل مئات الشاحنات طريقها إلى المعابر الحدودية غير الشرعية، وأكثرها نشاطاً هذه الأيام، معابر جسر الأسود، الخط الغربي، معابر خط البترول (الحج عيسى، شهيرة، وأبو جحاش)، وادي الوايات، ومعابر حنيدر.

وقالت مصادر متابعة لـ«الأخبار» إن ما تشهده المنطقة الحدودية عبارة عن سوق حرة يجري فيها تبادل مختلف أنواع السلع. فالشاحنات تدخل إلى سوريا محمّلة بالباطون والمحروقات على أنواعها، وتعود إلى لبنان محمّلة بالخضر والخردة، ناهيك عن تهريب السلاح الذي نشط بشكل لافت بعد سقوط النظام. وتجدر الإشارة إلى أن الأمن العام السوري في طرطوس أعلن أمس إحباط عملية تهريب أسلحة وصواريخ إلى لبنان.

تفاقم عمليات التهريب أدّى إلى تزايد الإشكالات الأمنية في وادي خالد، وآخرها مقتل شاب من آل رجو من منطقة خط البترول، على خلفية إشكالات مع مهرّبين، إضافة إلى مقتل ثلاثة أشخاص بينهم طفلان نتيجة اشتعال محطة محروقات أثناء تعبئة غالونات بنزين معدّة للتهريب.

أما في ما يتعلق بتهريب الأشخاص، فـ«حدّث ولا حرج»، إذ يعبر المئات يومياً إلى لبنان، عند مقلبي النهر، بشكل طبيعي ومن دون أي إشكالات، فيما انتعشت حركة السماسرة والمهرّبين الذين يسهّلون نقل العائلات السورية في اتجاه الداخل اللبناني. والأمر نفسه ينطبق على منطقة جبل أكروم حيث يعبر عشرات السوريين حاجز السهلة يومياً من دون أي عقبات.

وأكّدت مصادر مطّلعة لـ«الأخبار» أن «العديد من المهرّبين يعمدون إلى تمرير الركاب في السيارات ليلاً عبر الحواجز الأمنية مقابل كلفة مرتفعة أضعافاً عن كلفة أولئك الذين يعبرون سيراً على الأقدام».

(الأخبار)

تقرير

هل يبطل «الشورى» العمل بنظام تتبّع الدواء؟

راجانا حميّة

خلص تقرير مسرّب صادر عن مستشار في إحدى غرف مجلس شورى الدولة، إثر طعن تقدّمت به نقابة الصيادلة ضد الدولة ممثلة بوزارة الصحة في ما يتعلّق بتطبيق نظام تتبع الأدوية (مديترك)، إلى «إبطال القرار لصدوره عن جهة غير مختصة»، وأعاد إلى الضوء الخلاف حول تطبيق هذا النظام الذي تعتبره النقابة تعدياً على مهنة الصيدلة.

وقد حصل جدل واسع حول قانونية تطبيق نظام التتبع الإلكتروني بعدما رفضت نقابة الصيادلة تطبيقه، وامتنعت عن الدخول في آلية الربط الإلكتروني للصيدليات. وفي أيلول الماضي، توجهت نحو مجلس شورى الدولة للمطالبة بوقف تنفيذ وإبطال القرار الرقم 1/988 الصادر عن وزير الصحة، والمتعلّق بتطبيق القرارات الوزارية العائدة لنظام التتبّع الإلكتروني للدواء (مديترك) والتزام المؤسسات الصحية والاستشفائية والصيدليات ومستودعات الأدوية به في ما يخصّ الجزء المدعوم من الأدوية.

وأتى الطعن بعد أقل من شهرين من بدء تطبيق النظام الذي تركت النقابة للصيادلة حرية تطبيقه من عدمه. واعتبرت النقابة في الشكوى أن النظام يتعدّى على مهنة الصيدلة لناحية فرض نظام من قبل سلطة وصاية لها حق الرقابة وليس حق فرضْ القرار، «مخالفةً بذلك مبدأ الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لكون ما ذهبت إليه المستدعي ضدها من تقييد للحرية لا يمكن أن يحصل إلا بموجب قانون، فيما الأحكام المنظّمة من الوزارة لا تتضمن أي نص يعطي الوزير الصلاحيات الممنوحة له بموجب القرار المطعون به». وتأخذ النقابة على القرار تحميله أعباء للصيادلة، إذ إن النظام «يتطلب إحداث تغيير جوهري في نظام الصيدليات (...) ويمسّ شريحة واسعة من الصيادلة، وخصوصاً من غير الميسورين لإعادة تجهيز صيدلياتهم بأجهزة إلكترونية وتحمّل أعباء، ومصاريف تجرّهم إلى الإفلاس والإقفال». أما ثالث الأسباب والأهم، فهو اعتبار النقابة أن النظام ليس إلا وسيلة لـ«جعل الإحصاءات والمعلومات سلعة بخدمة النافذين». وخلصت إلى تشبيه القرار بـ«التدبير البوليسي».

واستدعت الشكوى لائحة جوابية من الوزارة التي رأت عدم جواز وقف تنفيذ القرار لكونه «يتعلق بالصحة العامة وخطط النظام والسلامة العامة (...) ويهدف إلى ضبط الدواء المزور والسماح للدولة بتحديد أولوياتها في مجال الدواء ومعرفة كمياته وطريقة توزيعه في المناطق وكيفية التصرف به». كما أن القرار «ليس هدفه الحدّ من حرية الصيادلة، فجلّ ما هو مطلوب من تطبيق نظام المعلوماتية الربط بين حركة الدواء وانتقاله من مستودعات بيع الدواء الى مخازن الصيدليات، ما يعطي الوزارة القدرة على تأمين الدواء للمرضى من خلال معرفتها بشكل مسبق بمخزون الأدوية الموزعة على الصيدليات ومنع احتكارها». وأكدت أن الحفاظ على حرية مهنة الصيدلة لا يعفي الوزارة من واجباتها في مواجهة الظروف الاستثنائية وانهيار قيمة الليرة وعدم قدرة المواطنين على تأمين الدواء، «وباعتبارها سلطة وصاية على كامل القطاع الصحي والدوائي، جاء القرار ليمكّن الحكومة من السيطرة على سوق الدواء ومعرفة المخزون الوطني، ولا سيّما أنه عند حصول نقص في الدواء، تكون الوزارة هي المسؤولة الأولى عن حماية حق المواطن». واستغربت الوزارة الشكوى انطلاقاً من «أن حضور ممثل عن النقابة للنقاشات التي دارت في كل اللجان». وخلصت إلى أن تتبع مخزون الصيدلي «واجب وطني وأخلاقي وليس عبئاً».

صحيح أن القرار النهائي عن الشورى لم يصدر بعد، وأن ما سرّب هو تقرير كُلّف به أحد المستشارين دعا إلى إبطال القرار، إلا أن النقابة تتصرّف على أساس أن القرار آتٍ لمصلحتها، وتهنئ الصيادلة على هذا «الفوز». في المقابل، تقلّل وزارة الصحة من أهمية الأمر باعتبار أن «النقابة تقوم بمعركة وهمية في وجه نظام لم يطبق الوزير أساساً سوى جزء منه يتعلق بالدواء المدعوم». وتتساءل المصادر: «علامَ الاعتراض طالما أن النظام يقف عند هذا الحد؟».

مفارقات وإشكاليات و... تجاوز

سعد الله مزرعاني *

طرحت الأزمات المتلاحقة، في لبنان، وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط عموماً، مجموعة من الأسئلة أو التساؤلات الأساسية، بل الكبرى: لجهة جوهر الصراع، وإستراتيجيات الأطراف فيه، والمحصلات والنتائج، وكذلك الدروس والعبر. والأزمات المشار إليها هنا، هي أزمات متنوعة: اقتصادية وسياسية وأمنية... وهي، بما برز منها أو سيبرز لاحقاً، ذات طابع وجودي يتصل بمصائر بلدان المنطقة، وبنيتها ووحدتها وثرواتها وعلاقاتها... وبالتالي، باحتمال حصول تطورات دراماتيكية بشأن العناوين المذكورة، ما قد يؤدي إلى إحداث تحوّلات وتبدلات ذات طابع جغرافي وديموغرافي وجيوسياسي... تقترن بذلك مخاطر جمّة، بل مقلقة ومهددة لفرص بقاء بعض البلدان والكيانات، ناهيك عن فرص تقدمها وتطورها في مواجهة تحديات العصر وصراعات كتله الكبرى. وهي تحديات وصراعات تجعل الحقوق الطبيعية في تقرير المصير والسيادة والأمن والاستقرار والتنمية... مسائل تقررها القوى الكبرى بشكل راجح.

تقف الولايات المتحدة الأميركية في مقدمة القوى التي تمارس دوراً كوسموبوليتياً متميزاً، وحتى متفرداً، في الانتقاص من الحقوق الأولية الطبيعية المذكورة للدول وللشعوب. وهي تتوسل كل السبل من أجل ممارسة السيطرة المباشرة والهيمنة المؤثرة في كل القارات والبلدان. لا تفعل واشنطن الآن، في مواجهة ما يتهدد نفوذها الكوني من منافسة ومعارضة وأزمات، سوى اللجوء إلى اعتماد أشكال قديمة جديدة من الأساليب والسياسات والعلاقات التي تجنح إلى استخدام القوة والضغوط والحصار... أو التهديد بها، يحصل ذلك بشكل مباشر، أو غير مباشر، أو الاثنين معاً، كما في حرب أوكرانيا. كذلك في الشرق الأوسط حيث يشكل الكيان المغتصب لفلسطين، هراوة قتل وإرهاب وترويع وعدوان ومجازر بلغت حد الإبادة في حرب غزّة، وفي حرب الضفة الغربية ولبنان، بدرجة أقل.

يحصل ذلك في هذه المرحلة، بعد حقبة من «الحرب الناعمة» التي امتدت لحوالى عقدين من الزمن. وهو يقترن بمحاولات من الارتداد على بعض مبادئ «العولمة» التي سادت في مرحلة القطبية الثنائية و«الحرب الباردة»... ثم كانت إستراتيجية «الحروب الاستباقية» ووضع قوة أميركا العسكرية في خدمة مشاريع سيطرتها وهيمنتها على معظم العالم. الرأسمالية الإمبريالية الأميركية، هي قوة الاستغلال الأعظم في التاريخ، وربما ذروته. وهي تلجأ اليوم، إلى تغذية أشكال من القهر والتسلط بوسائل عنصرية وفاشية موجهة ضد شعوب، بل قارات، كاملة. الرئيس ترامب، فتاها «الأغر» والأرعن، يتزعم موجة تطرف عنصري في كل دول المتروبول القديمة ذات التاريخ العريق في الممارسات الاستعمارية التي سادت قروناً. الشرق الأوسط شكّل، ويشكل الآن، الساحة الأساسية، في إعلان المشاريع وفي اختبارها. أطلق ترامب، في ولايته الأولى، نسخته الخاصة للشرق الأوسط تحت عنوان «صفقة القرن». تميّزت آنذاك بتبنٍّ مفرط للأطماع الصهيونية على حساب حقوق الشعب الفلسطيني! بعد فشل «الحروب الوقائية» وخيباتها مع بوش الابن مطلع الألفية الثانية، عبر محطتي غزو أفغانستان والعراق خصوصاً، تغيّرت الأساليب فكان «الربيع العربي». وهو كلمة حق أُريد بها باطل. أمّا النتيجة، فكانت إشاعة فوضى غير «خلاقة» في عدد من البلدان كان آخرها السودان. أزمات تلك البلدان ما زالت جرحاً نازفاً في كيانها ومصالح شعوبها وسيادتها وأبسط شروط تقدمها وتنميتها. هذا ينطبق على العراق وليبيا وسوريا واليمن ولبنان. أمّا البلدان الأخرى، فهي ترزح تحت سيطرة أميركية شاملة. وهي سيطرة سياسية واقتصادية وأمنية تحرسها القواعد العسكرية والأساطيل والجيوش، وتسير في ركابها أنظمة ذات طابع استبدادي مطلق (في الملكيات والإمارات)، أو ديكتاتوريات تقودها جيوش هي، في الإستراتيجية الأميركية، عامل أصيل أو بديل لاستمرارية التبعية لواشنطن في المنطقة وفي العالم. إن الشرق الأوسط الآن، على المشرحة الأميركية والصهيونية عبر مشاريع معلنة للنيل من شروط وفرص استقلاله وسيادته وسيطرته على ثرواته ومصائره. وهو يعاني من فائض ضعف في حصانته ضد الاستباحة والاجتياح، وخصوصاً بسبب تبعية معظم حكامه لواشنطن، وبسبب ضراوة العدوان ووحشيته الذي استهدف منذ «طوفان الأقصى» قواه المناوئة لواشنطن وتل أبيب.

يقع لبنان في قلب هذا الصراع. أزمات متنوعة، قد ضربته بقوة، وخصوصاً في السنوات الأخيرة. الأزمة الاقتصادية، وهي أزمة غير مسبوقة، ألحقت بالشعب اللبناني وبالبلاد، على يد جماعة التحاصص والنهب من ممثلي كبار شرائح البرجوازية الداخلة، خسائر وكوارث هائلة. نسبت واشنطن مسؤولية الأزمة الطاحنة إلى الطرف الأقل انخراطاً في السلطة وفي الحصص. كل ذلك من أجل النيل من دور المقاومة ضد العدو الصهيوني وضد السياسات الأميركية. بقيت الأزمة من دون علاج برعاية، أيضاً، من واشنطن كما في مرحلة نشوئها وتعاظمها.

بعد «طوفان الأقصى» أضيفت أزمة جديدة هي انتقال الصراع مع العدو وداعميه إلى طور جديد في مواجهة مشروعهم لتصفية القضية الفلسطينية لمصلحة توسّع المشروع الصهيوني وتمدّده كما عبّر عنه نتنياهو بشكل خاص.

تعاقبُ أزمتين، بهذا الحجم، ولّد أضراراً سياسية واقتصادية كبيرة في المرحلة الأولى، وأضراراً هائلة عسكرية وبشرية ومادية، في مرحلة «إسناد» المقاومة في مواجهة حرب الإبادة التي شنّها العدو وحُماته ضد الشعب الفلسطيني في غزة.

تتصف الحملة الأميركية الإسرائيلية في فلسطين ولبنان وأخيراً في سوريا، بطابعها العدواني الذي تنخى كل الضوابط والأعراف في الحروب وفي النزاعات، وبأهدافها الشاملة التي تتهدّد كل المنطقة. في هذا السياق، يستمر العدو الآن، بعد اتفاق وقف إطلاق النار مع لبنان (في 27 تشرين الثاني الماضي)، وبسبب خداع وانحياز «الوسيط» الأميركي، في مواصلة الحرب من طرف واحد. ذلك لا يقلل أبداً من البطولات المدهشة والإنجازات الباهرة التي تحققت في المقاومة في غزّة والضفة الغربية والجنوب اللبناني... إلى اليمن الذي فاجأ الجميع بصلابة موقفه وشجاعة قادته. لا شك أن المعركة قاسية. وهي، بالتأكيد، مستمرة بفضل تصميم الشعب الفلسطيني وتضحياته ومقاومته ودعم حلفائه. إلا أن أسباباً جوهرية تدفع إلى الاستنتاج بأنه لا بد من مراجعة جادّة للأداء في المرحلة السابقة، ما نعتقد بأنه سيقود إلى مقاربات جديدة تحت عنوان مواصلة وتفعيل مواجهة العدو وشركائه. رغم إجرام العدو وحماته، فهو قد تكبّد خسائر هائلة على المستويات العسكرية والسياسية والأخلاقية بفضل بطولات وتضحيات تليق فقط بأصحاب القضايا العادلة والإيمان الذي لا يتزعزع بالحق وبالنصر مهما كان الثمن!

* كاتب وسياسي لبناني

رفيق الحريري... كما تخيّله باسم السبع [2]

أسعد أبو خليك *

لا يزال الحديثُ يتناول كتاب باسم السبع الجديد، «لبنان في ظِلال جهنّم: من اتّفاق الطائف إلى اغتيال الحريري»، الصادر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت. والمؤلّف أصرَّ منذ البداية أنّ انحيازه (الصارخ) إلى الحريري في الكتاب هو قيمةٌ مُضافة (إلى ماذا؟) في تاريخ الحريري، مع أنّه اعترف أنّ الكتابة عن الحريري مستحيلة (خلافاً للكتابة عن الأنبياء). والسبع نسب دافع كلّ الذين شاركوا في الحروب ضدّ إسرائيل في لبنان (وفي غيرها من الحروب) إلى الارتزاق. أي إنّ الذين وهبوا حياتهم في

> لم ينسَ السبع أن يضمّن نصّه تعميمات استشراقيّة سطحيّة عن انشداد العقل العربي إلى الماضي، وأنّ الوطن العربي «معزول عن مستقبله». هنا دخلنا في الفلسفة السياسيّة للحريريّة

القتال ضدّ جيش الاحتلال الإسرائيلي كانوا مجرّد مرتزقة في عُرفه (ص، 18). ويستعمل كلمة ارتزاق مرّة أخرى عندما يقول: «الارتزقة من أهل القانون والتشريع» (ص، 20). هل تُراه يتحدّث عن رفيق الحريري وشركائه لمجموعة من المحامين والقُضاة والمُشرّعين لتمرير مشاريع لم يكن ممكناً تمريرها ديموقراطيّاً؟ هل يسري كلامه على السطو على وسط بيروت، مثلاً؟

والرجل الذي يتعفّف عند الحديث عن مساوئ النظام اللّبناني، لا يلاحظ أنّه في كلامه يحمي الفاسدين الذين والاهم. تراه يثور قائلاً عن الشعب اللّبناني: «لا يوفّرون مقاماً من مقاماتها إلّا ويجعلونه هدفاً للمسخرة والاتّهام المتواصل بحماية نظام فاسد». أيّاً من الفاسدين تراه يستثر هنا؟ واللّهجة الوعظيّة في الكتاب مزعجة؛ لأنّ المؤلّف (حتى للذي يقرأ الكتاب من دون أن يكون عالماً بسيرته السياسيّة أو سيرة الحريري) لا ينطلق في نقده من موقع خارج النظام الفاسد أو السيطرة الخارجيّة. لا، هو في عمله السياسي كان في داخل المنظومة الفاسدة التي كانت تخضع لسيطرة النظام السوري، فيما كان هو والمعلّم الأكبر، رفيق الحريري، يكيلون المديح لقادة النظام ومديري المخابرات فيه. كما أنّ كلامه عن الحظّ العاثر للبنان يتناقض مع فعل الإرادة السياسيّة. يقول عن لبنان: «حظّها عاثر هذه الجمهوريّة». ماذا يعني هذا الكلام؟ هل مصائر الأمم تتقرّر بالحظّ، بناءً على زمي النرد؟ هل كانت الحرب الأهليّة مثل زَلّة القدم بسبب قشرة موز؟ أم اصطدام سيّارتَيْن في جادّة؟ هذه مثل ردّ فعل حركة «فتح» على وفاة عبد الناصر عندما ندبته قائلة: «حظّك عاثر، يا فلسطين».

والسبع يبدو متحرّراً تماماً من ذلك العداء لإسرائيل، وتجده في مصطلحاته أقرب إلى مصطلحات الإعلام الغربي الصهيوني. كيف يصف حرب تمّوز بأنّها «حرب إسرائيليّة مع حزب الله» (ص، 22). هذا الوصف يبرّر لإسرائيل قصْفها لكلّ المنازل والمستشفيات وسيارات الإسعاف والمدارس، كما يبرّر قتْلها لكلّ الأطفال والنساء والرجال من كلّ الأعمار؟ حربٌ ضدّ حزب الله؟ هذه المصطلحات يستعملها الصهاينة اليوم لتسويغ حرب الإبادة الجارية في غزّة. لكنّه عندما يصف 7 أيّار (أي يوم 7 أيار)، فهو يصفه بـ«هجمة الحزب المسلّحة على بيروت». أي إنّ السبع يكنّ عداءً للحزب يفوق عداءه لإسرائيل (إذا كان لديه ذرّة من العداء لإسرائيل). السبع استفظع 7 أيّار (يوم 7 أيار) أكثر ممّا استفظع حرب إسرائيل على لبنان في تموز 2006. وإذا كانت حرب تمّوز مجرّد حرب ضدّ حزب الله، فلماذا تضرّر لبنان؟ أضرار جانبيّة معذورة من الجار؟

وللسّبع مُطلق الحريّة في الانحياز ضدّ مقاومي إسرائيل أو إلى الأخيرة، لكنّه ليس صادقاً أبداً في كلامه، ما يُضفي شكوكاً كثيرة على مزاعمه وروايته في الكتاب. تُقرأه يقول إنّ سعد الحريري اتّخذ قراراً... بـ«تعليق العمل السياسي». هل يظنّ السبع أنّ قرّاء كتابه من المهتمّين بالشأن اللّبناني جاهلون بقرار الرياض، أولاً، باختطاف سعد الحريري وتعذيبه وإجباره على تلاوة بيان استقالة بمنزلة فتنة أهليّة، ثمّ منْعه من ممارسة العمل السياسي وإبعاده عن لبنان؟ هو يعلم أنّنا نعلم بما جرى، أي إنّ مجانبة الحقيقة مقصودة هنا عن سابق تصوّر وتصميم من قِبل المؤلّف، تملّقاً للنظام الذي لا يتطابق مع مواصفات الحُكم الفاضل الذي يتغنّى به في الكتاب.

يقول السبع إنّه مَدين بتعرّفه إلى الحريري إلى مستشاره اليساري، سمير فرنجيّة الذي اقترح اسمه على الحريري (يصف فرنجيّة بالتعبير المزعج، «البيك الأحمر»). ومن دون أن يدري، نتبيّن في وصف السبع للقائه الأوّل مع الحريري كم أنّ الحريري أغرى الكُتّاب والصحافيّين والمثقّفين بالمال والمظاهر الفخمة لنمط عيشه. أنبهر صاحبكم بمجرّد أن وصل إلى باريس. يقول: «كان في انتظارنا سيّارة خاصّة من مكتب الحريري نقلتنا إلى فندق كونكورد-لافاييت» (ص، 25). تُدرك أنّ السبع بات في حاشية الحريري بمجرّد أن رأى السيّارة تنقّله من مطار باريس. حتى بوابة المنزل (أو «الدارة») كما يصف فؤاد مخزومي منزله) تُهرته، إذ يقول: «وإذ بنا أمام بوّابة كبيرة تشبه بوّابات القِلاع». لاحظْ الحصى الرمادية في حديقة المنزل. قد يكون قرّر فور رؤية المنزل الباريسي أنّ مشروع رفيق الحريري هو لخير لبنان والعالم العربي والإنسانيّة جمعاء. أمّا القصر (المنزل) فيصفه بـ«المهيب»، أي إنّ السبع انضمّ إلى فريق الحريري قبل أن يلتقيه. الذي شدّت تركيز السبع على القصر هو طلّة رفيق الحريري «الفخمة». «الطلّة الأولى للرجل تمحو الصور والأفكار المسبقة». لكن لماذا؟ لأنّ «وجهه غني بالطيبة والقوّة. وصوت ثريٌّ يُغدق الضحك والأفكار الرنّانة في آن» (ص، 26). عندما تقرأ ذلك تتعجّب لماذا لم تسائل صحافة لبنان مشروع الحريري وفساده في سنواته في الحكم؟ هذا كاتب لا يعلم أنّه يريك ضعفه الشديد أمام الثروة والفخامة والمظاهر المتبرّجة. هذا لا يحتاج إلى تحليل نفسي. إنّه ظاهر بوضوح شديد. يقول صاحبنا إنّه كسبَ «صداقته في أقل من ستّين دقيقة». حتماً هذه ليست صداقة إذا كنتَ كسبْتها في ستّين دقيقة. هذا أقرب إلى الانبهار والخضوع والتبعيّة. كلمة صداقة منزّهة عن غرض الاستفادة المالية والطموح الوظيفي.

فعلت الكيمياء فعلها بين السبع والحريري، وكانت رؤية السبع للسيارة الخاصّة بالقصر والفندق الفخم والقصر «المهيب» كافية كي يعبّر السبع عن ندمه على «أفكاري المغلقة على آراء يساريّة مسبقة» (ص، 26). كم تكون هذه الأفكار عميقة عند الرجل كي تزول بمجرّد رؤية القصر المهيب؟ هنا يقول السبع إنّ اللّقاء كان كافياً كي يبدأ «الشروع في خوض مجالات انعتقت حياتي السياسيّة». أحببتُ كلمة «مجالات» لأنها بالغة الدلالة والرمزيّة وحمّالة أوجه غير بريئة. والسمح في قراءة الكتاب أنّ المؤلّف يلجأ إلى ما نسمّيه بالإنكليزية بـ«النكات الداخليّة»، أي نكات لا تفهمها إلّا دائرة صغيرة ينتمي إليها الكاتب. فيصف أفراد حاشية الحريري بألقابهم المتعارفة: فعبد اللّطيف الشماع هو «أبو الهول» وعدنان الزيباوي هو «الرفيق»، ومصطفى رازيان «دونكيشوت» إلخ. وعندما روى الحريري قصّة من طفولته عن ماسح أحذية، علّق السبع بالآتي: «استهجنتُ صدورها من شخص في موقعه، وهو رئيس حكومة» (ص، 28). أي إنّ السبع رأى أنّ ذِكر ماسح الأحذية أو الفقراء لا يليق بشخص في موقع رئاسة الحكومة.

اقترح عليه الحريري العمل على إنشاء جريدة خاصّة به (تلك التي أصبحت «المستقبل») في ما بعد). كتب لها السبع «فذلكة سياسيّة» اعتزّ بها ووصف النصّ بأنّه الأول «من نوعه في السجلّات السياسيّة للحريري». تتحضّر لقراءة نصّ يُدخلك في أجواء الفكر السياسي، وإذ به تعداد لحوادث وتطوّرات وإشارة إلى «حرب النجوم» كي يرى القارئ مدى سعة اطّلاع الفريق المحيط بالحريري. والطريف أنّ فذلكة السبع تطرّقت إلى موضوع الديموقراطيّة، فيما الجريدة لم تكن إلّا بوقاً لأنظمة الاستبداد الخليجي. لا، لم يكتفِ السبع بالحديث عن الديموقراطيّة، بل أضاف مقطعاً عن «تفتّح المجتمعات السياسية العربيّة، وخصوصاً في منطقة الخليج، على التجارب الديموقراطيّة». هنا، لا تدري عن أيّ خليج يتحدّث السبع. ما هي النماذج الديموقراطيّة الخليجيّة التي لفتت نظر كاتب الوثيقة السياسيّة للحريريّة. ولم ينس السبع أن يضمّن نصّه تعميمات استشراقيّة سطحيّة عن انشداد العقل العربي إلى الماضي، وأنّ الوطن العربي «معزول عن مستقبله». هنا دخلنا في الفلسفة السياسيّة للحريريّة.

وفيما كان السبع يُعدّ لإصدار الجريدة التي ستحتفي بانبلاج الفجر الديموقراطي في دول الخليج، فاجأت المجموعة الحريريّة تطوّرات بالغة السلبيّة («غيوم»). ما هي؟ زيادة الرواتب في القطاع العام (ص، 38). هل هناك ما هو أسوأ من هذا التطوّر؟ والقول إنّ الجريدة كانت إيذاناً بانطلاقة فكر جديد تضاربت مع سرديّة السبع. يعترف أنّ الحريري أتى إليه وقال له إنّه يتعرّض إلى حملات، وإنّه يريد إصدار «المستقبل» للدفاع عنه، وإنّ الفضل شلق سيتولّى رئاسة التحرير (ص، 41). يذكر السبع «ثورة الدواليب» ضدّ عمر كرامي في 1992، (يتحدّث بسوقيّة عن «اقتلاع» عمر كرامي، ص 46) ولا يذكر دور جوني عبده (وفريق الحريري من ورائه) فيها. ومثل كلّ الإعلام المستفيد من الدعم الخليجي أو الحريري، يربط المؤلّف الحريري بالطائف وإصلاحاته، فيما كان دوره معدوماً؛ لأنّ التحضيرات والمناقشات حول الطائف سبقت الاجتماع الشهير. دور الحريري كان محصوراً بتقديم حُسن الضيافة السعودي للنواب المدعوّين. يذكر الاتّهامات بدفع الرشى (من قبل الحريري) للبنانيّين وسوريّين، كُتّاباً ومسؤولين، ولا ينفيها بل يذكرها في خانة «الحسنات» لا السيّئات. ألم يقل لكم من قبل إنّ صداقة نشأت بينه وبين الحريري بعد أن رأى قصره الباريسي المهيب؟ ويسبغ على الحريري أوصافاً يعتاد الأصدقاء على إسباغها على أصدقائهم فيقول عنه: «رجلٌ على صورة قلعة عالية الأسوار، حديديّة الأبواب، محصّنة المداخل، مترامية المساحات، لم يكن من السهل اختراقها أو إزعاجها» (ص، 46). غريب هذا الكلام. كان الحريري يتبرّم ويتضايق من أيّ نقد يُوجّه إليه، وهو حاول ما استطاع استخدام النظام السوري كي «يضبط» الإعلام ويمنع النقد له أو لأنظمة الخليج أو للنظام السوري. هنا، في حزيران 1992 يطرأ جديد في الصداقة بين السبع والحريري. دعاه لمرافقته إلى المملكة العربية السعوديّة. يقول السبع: «كانت المرّة الأولى التي أسافر فيها على متن طائرته الخاصّة. اكتشفتُ عندئذ من العزّ الذي يعيشه ابن صيدا مصحوباً بكرم الأثرياء وطموحهم» (ص، 48). تقرأ ذلك وتقول: الآن نفهم لماذا تخلّى عن يساريّته بمجرّد أن تعرّف إلى قصره الباريسي. مظاهر الثراء شديدة التأثير في فكر صاحبكم كان يفضّل مشاهدة أفلام عن إنجازاته أكثر من «حضور أعظم الأفلام الحائزة عشرات جوائز الأوسكار» (ص، 49). هل يُفترض أن يُبهرنا ذلك؟

(يتبع)

* كاتب عربي

«asadabukhalil@» حسابه على إكس

(هنّ الويبه)

التكفيريون إذ يقاتلون باسم أميركا!

بدر الحاج *

بعد سقوط حكم البعث في كل من العراق وسوريا، واندلاع حرب «طوفان الأقصى» وما رافقها من قتال مع المقاومة في لبنان، اعتبر القادة الصهاينة أن ما جرى سيؤدي إلى اندفاعة جديدة لمشروع إسرائيل الكبرى، وكرروا في مناسبات عدة القول إن الكيانات السياسية المحيطة بفلسطين باتت قابلة للتفكك أكثر

> الفرص العدة للتغيير سابقاً ضاعت في خضم الصراعات الداخلية والاستئثار بالسلطة و«جنون الخلود» الذي سيطر على عقول القادة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم طليعة التغيير والوحدة والحرية، لكن في الواقع كانوا عكس ذلك

من أي وقت مضى. لذلك بدأوا بطرح مشاريع الاستيطان مجدداً في غزة والاستيلاء على القسم المتبقي من فلسطين. أمّا في المناطق المحتلة حديثاً في جنوب لبنان وسوريا، فهناك أيضاً دعوات إلى إبقاء السيطرة التامة على المناطق الإستراتيجية إضافة إلى الاستيطان طبعاً.

ما نواجهه بعد نجاح «المحافظين الجدد» في إسقاط أنظمة عربية لا تأتمر بتوجيهاتهم، وترحيب نتنياهو الحار بذلك، هو في الواقع عملية تدمير للنسيج الاجتماعي في الكيانين السياسية التي أقامها الغرب حول فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى.

في عملية إسقاط نظامي «البعث» في العراق والشام، كان أداء الغرب متشابهاً. تم التركيز على إذكاء النعرات الطائفية والمذهبية وتشجيع التوجهات التقسيمية ودعمها. وهذا بالضبط ما كان يطمح إليه القادة الصهاينة الذين أعلنوا أنّ جلّ مناهم تقسيم بلاد الشام والعراق على أساس مذهبي، طائفي وإثني. فالاهتمام الإسرائيلي بإقامة كيانات كردية مستقلة في العراق والشام فضحته مجموعة من الوقائع التي تؤكد مشاركة عسكريين إسرائيليين في تدريب أكراد العراق وتسليحهم منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي. وجرى الأمر ذاته لاحقاً في دعم انفصال أكراد سوريا. ونلاحظ أن ما نُفذ في العراق بالنسبة إلى الأكراد، وبحماية أميركية ودعم صهيوني، نُفذ أيضاً في سوريا.

لقد أسقطت الأنظمة التي وضعت على لائحة ما سمي «الدول المارقة» بحجج كاذبة واستغلال للأوضاع الداخلية في تلك الأنظمة، التي بدلاً من أن تقوم خلال مدة حكمها الطويلة بعملية تثقيفية نهضوية شاملة لتغيير الواقع المذهبي والطائفي الموروث الذي تتميز به بلاد الشام والعراق، وتنطلق في تجربة وحدوية كانت ستغير حتماً وجه المنطقة... حدث العكس تماماً. وهكذا ضاع أمل الوحدة سواء داخل القطر الواحد أو بين القطرين. ومن سخريات القدر أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) رفع شعار توحيد البلدين تحت رايته بدلاً من أن يكون الحزب الوحدوي هو المبادر.

دخل جحافل «البعث» في بغداد والشام في صراع مرير، هدرت فيه طاقات، وسقط نتيجته ضحايا، وازداد الشرخ الطائفي في الكيانين. ولألسف توحّد النظامان فقط في إقامة أجهزة بوليسية تقمع الناس لمجرد معارضتهم أو نقدهم سياسات الحكم. كان نقد الحاكم يقود إلى التهلكة، حتى أن السلطة العراقية شرّعت قانوناً يقضي بإعدام كل من يشتم صدام. وترافق القمع مع تبديد الثروات الوطنية في مغامرات عقيمة، وانعدمت المحاسبة، وانتشر الفساد الذي هو صنو للخيانة. واستغل الغرب تلك الأوضاع، ونجح نجاحاً كبيراً ليس في إسقاط النظامين فقط، بل أيضاً في تشظي المجتمعين، والنتيجة كانت هدية مجانية لمصلحة المشروع الصهيوني. تعزّز العراق لحصار خانق استمر مدة ثلاثة عشر عاماً بعد غزوه الكويت. وعندما فشل الحصار الظالم الذي سقط بسببه مئات الآلاف من الضحايا، كان الحل الأخير المتبقي أمام التحالف الغربي هو الغزو والاحتلال. وما إن وطأت أقدام المحتلين أرض العراق حتى توالت الكوارث، تم تسريح الجيش العراقي (وهذا ما نُفذ لاحقاً في سوريا)، ووضع حاكم العراق بول بريمر دستوراً جديداً كان البنية الأساسية لتدمير النسيج المجتمعي العراقي بتسعير الصراع السني - الشيعي. وهكذا دخل العراق في حرب داخلية سياسية وعسكرية بين أبنائه، وتم فصل الشمال ذي الأكثرية الكردية. لقد كان الصراع العراقي - العراقي الداخلي جل ما يتمناه المحتل. لكن حسابات المحتلين لم تكن كما توقعوا وقبل انطلقت مقاومة عراقية للوجود الأجنبي، ما دفع المحتلين إلى الاعتماد على التكفيريين لمواصلة الحرب التدميرية. وبرزت ظاهرة الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) التي انتشرت بقوة في العراق والشام بدعم غربي.

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: لماذا استُعملت التنظيمات التكفيرية كأدوات في حروب أميركا؟ الجواب باتينا من نتائج حربي فيتنام وأفغانستان. وبالعودة إلى حرب فيتنام يتبيّن أنه بعد الخسائر التي لحقت بالأميركيين، لجأوا إلى سياسة جديدة في حروبهم اللاحقة وهي الاستعانة بالتنظيمات الإسلامية «الجهادية» كما حدث في حرب أفغانستان الأولى بعد تولي الشيوعيين الحكم في نيسان سنة 1978. لقد كُتب الكثير عن تلك الحرب، وكيف أن الأميركيين بالاتفاق مع حاكم باكستان ضياء الحق أطلقوا عملية سمّيت «الإعصار» تم بموجبها تجنيد وتسليح مئات الآلاف من «المجاهدين» الأفغان والعرب لقتال الحكم الشيوعي «الكافر» في كابول. وبعد هزيمة الشيوعيين وانسحاب السوفيات، كشف النقاب عن أن وكالة المخابرات المركزية الأميركية كانت قد باشرت فور إسقاط الحكم الملكي في كابول واستلام الشيوعيين الحكم، بتقديم الدعم لـ«المجاهدين» حتى قبل دخول أي جندي سوفياتي أفغانستان. وكانت النتيجة التي توصل إليها الأميركيون من تلك الحرب، أنهم قاتلوا أعداءهم وربحوا دون أن يسقط لهم جندي واحد. ذلك النجاح قادهم إلى الاعتماد مستقبلاً على قوى «جهادية» لشنّ حروبهم وتنفيذ مخططاتهم. وهذا ما حدث بالضبط في العراق وسوريا.

ما كانت مخطّطات المحافظين الجدد في أميركا لتحظى بالنجاح لو أن قادة «البعث» في بغداد ودمشق اعتمدوا خلال مدة حكمهم الطويلة نهجاً توحيدياً للشعب في الكيانين. وعلى النقيض من ذلك، فقد أدّى التنافس الشخصي على السلطة بين قيادات «البعث» إلى صدامٍ وكوارث كان القائد في كل كيان هو الملهم، لا مجال للنقاش أو الاعتراض على سياساته، من يعترض يكون مصيره السجن أو التصفية الجسدية، حتى لو كان من قيادة الحزب. وهذا ما شرحه بالتفصيل منيف الرزاز في كتابه «التجربة المرة». ونتيجة لذلك كانت هناك استحالة في توحيد الكيانين العراقي والسوري من قبل الحزب الوحدوي المنطلقات. لقد كانت ولا تزال مشاريع الوحدة العراقية - السورية بعد الحرب العالمية الأولى من المحرمات عربياً ودولياً وحتماً صهيونياً. لقد سبق أن جرت محاولات من قبل نوري السعيد وشكري القوتلي وتم إجهاضها عربياً. سواء كان الحاكم في العراق ملكياً أو بعثياً فالوحدة ممنوعة.

وكما حدث في العراق حدث في سوريا منذ عام 2011 حيث كانت الأرضية جاهزة. تم تجنيد مئات الآلاف من «المجاهدين» الأجانب والسوريين، سلحوا ودربوا وتم تمويلهم بمليارات الدولارات كما اعترف بذلك رئيس وزراء قطر حمد بن جاسم آل ثاني في حديث متلفز. المحاولة الأولى عام 2011 لإسقاط الحكم فشلت بسبب قتال الجيش السوري ودعم الحلفاء. وكان المخطط البديل لإسقاط دمشق حصار سوريا عبر ما سمي بـ«قانون قيصر» والاستيلاء على النفط السوري، ودعم كيان كردي متحالف علناً مع الصهاينة، واحتلال تركي وأميركي. تم خنق السوريين تدريجياً، وعندما تبدّلت الظروف السياسية والأولويات لحلفاء دمشق، صدر الأمر بالعودة إلى المشروع الأساسي وسقطت دمشق، وانتهت مرحلة حكم «البعث» في الشام كما انتهت في العراق.

الهجمة الحالية على بلادنا أدخلتنا في مرحلة جديدة مختلفة تماماً عن السابق. ومن المتوقع، كما يبدو حتى الآن، أن تؤدي نتائج هذه الهجمة إلى مزيد من التقاتل المذهبي والإثني وانفجار مجتمعاتنا وإحكام القبضة الأميركية - الإسرائيلية. وهذه النتيجة الكارثية التي نحصدها اليوم جميعاً، سواء الذين قاتلوا وعارضوا «البعث» في العراق والشام أو من كانوا من أنصاره. فالفرص العدة للتغيير سابقاً ضاعت في خضم الصراعات الداخلية والاستئثار بالسلطة و«جنون الخلود» الذي سيطر على عقول القادة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم طليعة التغيير والوحدة والحرية، لكن في الواقع كانوا عكس ذلك.

وعلى النقيض من هذا الواقع المؤلم والمحبط، نرى يومياً ما يصح اعتباره حتماً معجزات يسطرها أبطال شعبنا في فلسطين وبالتحديد في غزة، وكذلك المقاومون في لبنان. آلة الحرب الأطلسية والدعم المتواصل في المجالات كافة للعدو الصهيوني منذ «طوفان الأقصى» حتى اليوم عجزت عن إخضاع المقاومين المحاصرين براً وبحراً وجواً. والمقاومة الحالية ما هي إلا حلقة في سلسلة طويلة من المواجهات بدأت منذ أن وطأت أول قافلة من المستوطنين الصهاينة في جنوب يافا عام 1881. واستمر الصراع بأشكال وقيادات مختلفة حتى اليوم. كل هذا دليل على أن لدى شعبنا قدرات هائلة وإيماناً لا يلين بحقه في العيش حراً على أرضه رغم كل المؤامرات والإخفاقات. إن القوة النفسية والروحية في شعبنا، والتي صمدت في وجه حروب الإبادة والتهجير، هي الأمل والدليل الساطع على أنه في نهاية هذا الصراع لا مفر من النجاح.

* كاتب لبناني

على الغلاف

بدء تنفيذ المرحلة الأولى غداً
إسرائيل «تتجرّع سمّ» الصفقة

في خيام النزوح، يحتفل الفلسطينيون بوقف النار (أ ف ب)

مع المصادقة على اتفاق وقف إطلاق النار وتبادل الأسرى مع حركة «حماس» في قطاع غزة، إيذاناً ببدء تنفيذه عند الرابعة من بعد ظهر الغد، انصبّ الاهتمام في إسرائيل على تداعيات الاتفاق، ولا سيما أن محاولات رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، لم تفلح في تجميله وإقناع المعارضين له بالموافقة عليه، وجاء اعتراف وزير الخارجية الإسرائيلي، جدعون ساعر، الصارخ بأن إسرائيل «لم تحقق أهداف الحرب»، ليفاقم المأزق الذي وجدت الحكومة نفسها فيه.

وبعد اجتماع دام أربع ساعات، أعطت الحكومة الأمنية المصغّرة موافقتها على الاتفاق، على رغم تصويت وزيري المالية، بتسلئيل سموتريتش، والأمن القومي، إيتمار بن غفير، ضده. وقال مكتب رئيس الوزراء في بيان إنه «بعد مراجعة كلّ الجوانب السياسية والأمنية والإنسانية، وإدراك أن الاتفاق المقترح يدعم تحقيق أهداف الحرب، أوصت الحكومة الأمنية المطالب الأمنية الإسرائيلية، فإنه يمكن لإسرائيل استئناف العمليات العسكرية بشكل كامل وبدعم أميركي». لكنّ المأزق، كما يبدو، أكبر من أن تتم التغطية عليه بالتطمينات؛ إذ نقلت «القناة الـ12» الإسرائيلية عن سائر قوله: «إننا طوال أشهر لم نتمكن من إعادة مختطف واحد حياً. لذلك مسؤوليتنا ثقيلة كحكومة».

ضمانات بأنه إذا فشلت المفاوضات حول المرحلة الثانية، ورفضت حماس المطالب الأمنية الإسرائيلية، فإنه يمكن لإسرائيل استئناف العمليات العسكرية بشكل كامل وبدعم أميركي». لكنّ المأزق، كما يبدو، أكبر من أن تتم التغطية عليه بالتطمينات؛ إذ نقلت «القناة الـ12» الإسرائيلية عن سائر قوله: «إننا طوال أشهر لم نتمكن من إعادة مختطف واحد حياً. لذلك مسؤوليتنا ثقيلة كحكومة».

مضيفاً أنه «على رغم الضربات القوية التي تلقّتها حماس، فإننا لم نحقّق أهداف الحرب بشأنها».

بدورها، اعتبرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن «ثمن الاتفاق كبير وثقيل وبحجم الفشل في 7 أكتوبر»، إلا أنها أضافت أنه «على رغم أن هذا الاتفاق لا يحظى بتأييد واسع، فإننا عاجزون عن رفضه أو الاستغناء عنه». ورأت أن «هذا الاتفاق ليس مثالياً، بل هو سيّئ للإسرائيليين، وهو يمثّل عقاباً جماعياً على الفشل في 7 أكتوبر». ونقلت الصحيفة عن أوساط أمنية خشيتها من أن يؤدي الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين إلى تصعيد الأوضاع في الضفة الغربية.

وفي محاولة لتمرير الاتفاق بأقل ضجة ممكنة، حظر حزب «الليكود» الذي يتزعمه نتنياهو على أعضائه إجراء مقابلات، وفق ما ذكرت «القناة الـ12»، في حين قال بن غفير إنه كان مصدوماً من تفاصيل الصفقة، أول أمس، ثم أصبح يشعر بالقلق أضعافاً مضاعفة مع كشف المزيد من التفاصيل. واعتبر أن «هذه صفقة خطيرة. فهناك أسرى سيُفرج عنهم إلى القدس والضفة، ويعلم الجميع أن هؤلاء سيعودون لمحاولة تنفيذ هجمات». وتشمل المرحلة الأولى من الاتفاق، والتي تمتد 42 يوماً، الإفراج عن 33 أسيراً إسرائيلياً، مقابل الفي فلسطيني بينهم المئات من المحكومين بمؤبدات. وبحسب موقع «واينت»، فإن الصفقة تسمح بعودة عدد من أصحاب المؤبدات إلى الضفة الغربية بعد الإفراج عنهم في اليوم الأول في اليوم التي سيتم تنفيذها في معبر رفح، كما قدّم وثيقة تفضل خطته لإنشاء إدارة مؤقتة في غزة تحت إشراف السلطة». وأضاف أن «الردود على التشرد». ثم تشير بيدها إلى كومة من الركام وتتابع: «كيف أشرح لهم أن هذا المكان الذي كنا نعيش فيه أصبح مجرد أطلال؟ كيف أخبرهم أننا بلا مأوى، بلا أمل قريب؟». وتعبّر محروس عن خشيتها من المستقبل، قائلة: «ما أخشاه أن تصبح سنوات التشرد القادمة أصعب من الحرب نفسها. أن يكبر أطفالي بين الخيام، بلا منزل، بلا أمان، بلا مستقبل. إذا لم يتحرك العالم الآن لإعادة إعمار غزة، فسيكون هذا الدمار مقدمة لحرب من نوع آخر». ودمر جيش الاحتلال الإسرائيلي، في الحرب، أكثر من 160 ألف وحدة سكنية بشكل كلي، و193 ألف وحدة سكنية بشكل جزئي، بحسب ما أفاد به المدير العام للمكتب الإعلامي الحكومي، إسماعيل الثوابتة، «الأخبار»، مضيفاً أن «الخسائر الأولية المباشرة للحرب بلغت نحو 37 مليار دولار، مع دمار شامل في 86% من القطاع».

مستقبل تحت الركام

على أنقاض مباني الجامعة الإسلامية في غزة، والتي كانت مفعمة بالحياة، يقف محمود الترك، طالب السنة الأولى في كلية الطب، متأملاً الخراب الذي حوّل أحلامه إلى مجرد ذكرى. كانت تلك الجامعة بوابته إلى المستقبل، وحلمه الذي سعى إليه وسط ضيق الحال والحصار، لكنها الآن أضحت ركاماً لا يملك سوى الحسرات أمامه. يسأل الترك بصوت يختلط فيه الغضب واليأس، مشيراً إلى أن «هذه الجامعة كانت أملي الوحيد في تغيير واقعي، في أن أدرس وأتخرج وأبني مستقبلي، لكن اليوم كل شيء انهار»، مضيفاً أنه «كلما سمعت صوت القصف كنت أغمض عيني وأدعو أن لا يصل إلى هنا، إلى مكان أحلامنا... لكن القصف لم يرحم شيئاً». ويعتقد أن «إعادة بناء الجامعات يجب أن تكون أولوية»، معتبراً «(أننا) نحن الطلاب، مستقبل هذا الوطن، وإذا ضاع تعليمنا، فإن مستقبلنا سيضيع معه. كيف سأصبح مهندساً أو طبيباً أو معلماً إذا لم تكن هناك جامعات؟». ويناشد محمود الجهات الدولية والمحلية وكل من يستطيع المساهمة، أن يتدخلوا بسرعة لإنقاذ التعليم في غزة، قائلاً: «لسنا بحاجة فقط إلى إعادة بناء الجدران، نحن بحاجة إلى إعادة بناء الحلم، إلى إعادة بناء الإنسان. لا تجعلونا نخسر مرتين؛ مرة بسبب الحرب، ومرة بسبب إهمال المستقبل». وبحسب الثوابتة، فقد دمر جيش الاحتلال كلياً وجزئياً جميع مؤسسات التعليم العالي في القطاع، والبالغ عددها 12 جامعة، مشيراً إلى أن هذا الدمار الشامل ألحق خسائر مادية جسيمة بقطاع التعليم، حيث قُدّرت الأضرار التي لحقت بالجامعات بأكثر من 200 مليون دولار. وبالإضافة إلى ذلك، حُرم نحو 88 ألف طالب وطالبة من مواصلة تعليمهم الجامعي بسبب تدمير البنية التحتية التعليمية.

> كمية الأنقاض الناتجة من الدمار في غزة تُقدر بحوالى 37 مليون طن

زفاف تحت القصف

في مركز إيواء في منطقة المواصي غرب خان يونس جنوب قطاع غزة، تُعيش سماح الخليل (21 عاماً) التي لم يمضِ على زواجها سوى أيام قليلة عندما اندلعت الحرب، وأجبرتها على النزوح من منزلها الصغير الذي زينته بيدها. تقول الخليل بحزن لـ«الأخبار»: «لم أفرح مثل باقي الفتيات المتزوجات، لم أعش لحظة هادئة، لم أجرب سكينة البيت أو دفء الأيام الأولى. بدلاً من ذلك، وجدت نفسي أهرب من القصف والنار، أنزح مع زوجي إلى دير البلح ثم إلى رفح وأخيراً إلى خان يونس بحثاً عن الأمان». وتشدد الخليل على ضرورة أن تكون إعادة إعمار غزة أولوية قصوى، قائلة: «أنا لن أنجب أطفالاً ليعانوا من التشرد وحياة الخيام، لا أريد أن أرى أطفالي يتنقلون بين مراكز الإيواء بحثاً عن المسكن. إعادة إعمار منزلنا ليست مجرد حجر أو سقف، بل هي أمل بحياة كريمة وفرصة للبدء من جديد. لا تتركوا غزة تختنق بالدمار... ساعدونا على أن نعيش».

وتشير أحدث التقارير إلى أن إعادة إعمار القطاع ستتطلب جهوداً هائلة وموارد مالية ضخمة؛ إذ وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة، قد تصل تكلفة إعادة الإعمار إلى ما بين 30 و40 مليار دولار، نظراً إلى حجم الدمار غير المسبوق الذي شهدته غزة، فيما كمية الأنقاض تُقدر بحوالى 37 مليون طن، ما يعكس حجم التحدي الذي يواجه تلك الجهود. كذلك، تفيد التقديرات بأن إعادة بناء المنازل المدمرة بالكامل قد تستغرق قرابة 80 عاماً، إذا استمرت وتيرة الإعمار بالنهج السابق نفسه، في حين أنه في أفضل السيناريوات، يمكن إتمام العملية بحلول عام 2040. وبالعودة إلى حديث الثوابتة، يوضح الأخير أن عملية إعادة الإعمار «ليست مجرد حاجة مادية، بل هي قضية إنسانية ملحة تمس كرامة السكان وحقهم في العيش في بيئة آمنة وكريمة». وبلغت إلى أن «بقاء المنازل مدمّرة يعني استمرار معاناة السكان، وتجدد ذكريات الحرب وآلامها مع كل يوم يمر من دون تدخل عاجل»، مضيفاً أن «الحرب لا تنتهي بانتهاء القصف، بل تظلّ قائمة في حياة العائلات التي فقدت مأواها، ما يجعل إعادة الإعمار أولوية قصوى لإعادة الأمل والاستقرار إلى القطاع». ويشدد على «ضرورة عقد مؤتمر دولي عاجل يهدف إلى تسريع وتيرة إعادة الإعمار وتوفير التمويل اللازم لتعويض المتضررين»، داعياً «المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤولياته تجاه غزة التي تُعاني حصاراً خانقاً يزيد من تعقيد الأزمة»، ومطالباً بـ«وضع خطط عملية وشفافة لتنفيذ الإعمار بشكل سريع وشامل، ليتمكن السكان من تجاوز آثار الحرب المدمرة واستعادة حياتهم الطبيعية».

كلفة إعادة إعمار قطاع غزة قد تصل الى ما بين 30 و40 مليار دولار (أ ف ب)

نفسه. وفي المقابل، نشرت مصلحة السجون الإسرائيلية أسماء 95 أسيراً فلسطينياً سيتم الإفراج عنهم غداً، معظمهم من النساء، مشيرة في بيان إلى أن «المعتقلين الذين سيُطلَق سراحهم في المرحلة الأولى، سيتم جمعهم معاً في سجن عوفر في الضفة الغربية المحتلة وفي سجن شيكما في عسقلان قبل إطلاق سراحهم»، علماً أن السلطات الإسرائيلية استبقت البدء بتنفيذ الاتفاق، بالإعلان عن حظر احتفالات الفلسطينيين بالأسرى المُفرج عنهم.

وعلى المقلب الفلسطيني، من شأن عودة أسرى مهمّين إلى الضفة الغربية أن يثير قلق سلطة محمود عباس، الذي قالت «القناة الـ12» الإسرائيلية إنه «أرسل مسؤولين إلى مصر للانضمام إلى الترتيبات

> منتقدون يعتبرون ثمن الاتفاق كبيراً وثقيلاً بحجم الفشل في 7 أكتوبر

الدمار يغطي 86% من غزة
تحديات إعادة الإعمار تتقدّم

دير البلح - **عبد الله يونس**

رغم إعلان وقف إطلاق النار، والذي ألقى بظلال الفرح والأمل على سكان قطاع غزة، فإن هذه الفرحة بدت كأنها مسروقة وسط مشاهد الدمار الهائل الذي أحال مدن الغزيين وأحياءهم إلى أكوام من الركام. وبحسب تقديرات محلية ودولية، فإن إزالة الركام وإعادة البناء لن تكون مهمة عابرة، بل ربما تتحول إلى معركة جديدة قد تمتدّ لسنوات طويلة. ووفقاً للاتفاق المعلَن، فإن هذه العملية ستتوزّع على ثلاث مراحل، أولاها إعادة تأهيل البنية التحتية وإزالة الركام، وثانيتها وضع خطط شاملة لإعادة الإعمار، وثالثتها تنفيذ هذه الخطط، بهدف إعادة بناء المنازل والمباني والمرافق.

حرب جديدة بعد الحرب

تقف أم محمد محروس (41 عاماً) وسط بقايا منزلها الذي دمرته الحرب، مراقبةً بصمت أنقاض أحلامها، فيما أبناؤها الستة يتناثرون حولها كطيور صغيرة تبحث عن مأوى، بعدما استشهد والدهم في الغارات العنيفة على غزة. «الحرب لم تنتهِ هنا»؛ تقول بصوت يخنقه الألم لـ«الأخبار»، مضيفةً أن «الحرب الحقيقية بدأت الآن... حرب التشرد». ثم تشير بيدها إلى كومة من الركام وتتابع: «كيف أشرح لهم أن هذا المكان الذي كنا نعيش فيه أصبح مجرد أطلال؟ كيف أخبرهم أننا بلا مأوى، بلا أمل قريب؟». وتعبّر محروس عن خشيتها من المستقبل، قائلة: «ما أخشاه أن تصبح سنوات التشرد القادمة (...) وأن الحكومة الفلسطينية قد أتمت الاستعدادات كافة لتولي مسؤولياتها الكاملة في قطاع غزة، بما توافقها الإدارية والأمنية لديها كامل الاستعداد للقيام بواجباتها للتخفيف من معاناة شعبنا وعودة النازحين (...) وإعادة الخدمات الأساسية».

(الأخبار)

العدو يتطلّع إلى «اليوم التالي»: الحرب... بأشكال أخرى

يحيى دبوق

انشغلت إسرائيل، أمس، بإجراءات إقرار اتفاق وقف إطلاق النار وتبادل الأسرى مع حركة «حماس»، تمهيداً لبدء تنفيذه المرتقب في الساعة الرابعة من بعد ظهر غد، وهي إجراءات شكلية في معظمها ونتيجتها مقدّرة سلفاً: مصادقة المجلس الوزاري المصغر للشؤون الأمنية والسياسية،

نتنياهو يراهن على حرب من نوع آخر (أ ف ب)

كما مصادقة الحكومة بتركيبتها الكاملة، على الاتفاق، وكذلك نشر أسماء الأسرى الفلسطينيين الألف قبل موعد التنفيذ بست ساعات، لتمكين الإسرائيليين من تقديم التماسات أمام المحكمة العليا لمنع إطلاق سراح بعضهم، وهو ما يقدّر أن يُواجَه برفض قضاة المحكمة سريعاً. ووفقاً لتلك المقدمات، لا يبدو أن ثمة ما قد يعرقل بدء تنفيذ الاتفاق، وإن كان الصخب سيصاحب إجراءاته العملياتية إلى حين الانتهاء منها، مع استمرار تراشق المسؤوليات والاتهامات داخل القوس السياسي في إسرائيل، وأيضاً بين مركّبات الحكومة، التي عارض بعض وزرائها في المجلس الوزاري المصغّر وفي الحكومة الموسعة، الاتفاق. وفي مقدمة هؤلاء ثنائي الصهيونية الدينية، وزير المالية، بتسلئيل سموتريتش، ووزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، واللذان استسلما أخيراً وأدركا أن تهديداتهما بالانسحاب من الائتلاف الحكومي لن تتسبّب هذه المرة بعرقلة الصفقة، مثلما كانت عليه الحال في الأشهر الخمسة عشر الماضية. كما أن من مصلحتهما كليهما أن تبقى الحكومة الحالية بلا تعديلات تطرأ عليها، سواء تماشياً مع الصفقة أو لا، وسواء صوّتا لها أو عارضاها أو قرّرا الانسحاب من الحكومة على خلفيتها. ومن هنا، يُتوقع أن تنطلق المرحلة الأولى من الصفقة أو كما تسميها تل أبيب - لأغراض تسويقية وتبريرية - اتفاق «تحرير الرهائن الإسرائيليين»، بلا عراقيل قادرة على فرملتها، فيما سيكون التسويف ورفع السقوف سمة مفاوضات المرحلة الثانية، والتي يبدو أنها بدورها، وإن مع شكوك مبرّرة لدى الكثير من المراقبين، ستأخذ مسارها أيضاً نحو التطبيق.

وهكذا، تبقى أمام إسرائيل استحقاقات وتحدّيات عليها أن تعمل على إيجاد حلول لها، ليس على المدى القصير فحسب، بل أيضاً على المدى الطويل؛ وهي بدأت بالفعل العمل عليها، لكن ما بين التخطيط والتنفيذ، ثمة مسار طويل جداً. ومن بين تلك الاستحقاقات، القصور على فرض الترتيب السياسي والأمني الملائم في غزة، والذي تُرك، كما يبدو، لمعركة أخرى ستكون مديدة، وقد يكون جزء من أدواتها أمنياً وعسكرياً واستخبارياً، ولكن أكثرها حرب اقتصادية وحصار يُوجَّه لمنع تشكّل تهديدات جديدة من غزة، وفي المقدمة ترتيب المقدّمات التي ستكون منطلقاً للمساعي المقبلة في هذا الإطار، علماً أن جزءاً لا يستهان به من هذه المقدّمات موجود في أيدي إسرائيل، فيما أجزاء كثيرة أخرى لا تزال على طاولة التخطيط، بلا رؤية واضحة لتنفيذها، وربطاً بعوامل وأسباب تبدو خارج السيطرة الإسرائيلية المباشرة. وفي هذا السياق، ترى تل أبيب إمكان الرهان على الآتي:

- استمرار السيطرة على المعابر والمساعدات الإنسانية، وقدرة إسرائيل على التحرك العسكري لكبح أي حراك فلسطيني مقاوم يهدف إلى التعافي وإعادة ترميم القدرات، سواء المدنية أو العسكرية. وستعمل تل أبيب، بقبول أميركي وإقليمي، على استخدام هذه السيطرة إلى أقصى حد ممكن، مع الأمل بأن يؤدي الاستخدام المفرط لتلك القدرات إلى انهيار حكم «حماس» ومنع ترميم قدرتها العسكرية التي ستحرص إسرائيل على أن لا تصل إلى حد تهديد أمنها، أو معاودة تنفيذ ما يشبه «طوفان الأقصى» جديد.

- تراهن إسرائيل على تقاطع مصالح مع الشركاء الإقليميين، وتحديداً السعودية التي تتشارك معها في العداء لإيران، وإن كان تحريك الرياض هو الأخيرة مرتبطاً بـ«جدية أميركية» لمواجهة طهران.

- إنهاء الحرب يفتح، كما ترى تل أبيب، آفاقاً جديدة في المنطقة، ليس فحسب على أساس العداء المشترك للجمهورية الإسلامية، بل أيضاً على أساس خشية الشركاء الإقليميين من الشراكة التركية - القطرية التي تبقي تهديد الحركات الإسلامية، وفي المقدمة «الإخوان المسلمون»، قائماً ومؤثراً ومدعاة للقلق لدى أكثر الأنظمة قرباً من إسرائيل، ومن بينها أنظمة خليجية وازنة، فضلاً عن تهديد استقرار الأردن ومصر، والذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من أمن الدولة العبرية.

على أي حال، آمال إسرائيل في مرحلة ما بعد الحرب لا تغيّر كثيراً من نتائجها، وإن كانت من الأدوات التي تستخدمها الآن لإقناع نفسها، والآخرين، بأن للحرب تتمة قد لا تكون بالضرورة عسكرية، وهي لن تقتصر على غزة، بل ستمتد في اتجاه الإقليم، الذي بدأ العمل على تهيئة ظروف وعوامل نجاح الجولة المقبلة فيه، علماً أن القرار في هذا الشأن يظل أميركياً بامتياز.

> التحالف الإقليمي المنشود إسرائيلياً يستهدف أيضاً الشراكة التركية - القطرية

صنعاء تواصل إسناد غزة

صنعاء - **رشيد الحداد**

تأكيداً لتعهدها بالاستمرار في إسناد قطاع غزة حتى دخول اتفاق وقف إطلاق النار حيز التنفيذ بعد ظهر غدٍ، ورداً على الجرائم التي ارتكبها العدو في القطاع بعد الإعلان عن الاتفاق، شنت قوات صنعاء، أمس، عملية عسكرية واسعة ضد أهداف في تل أبيب وعسقلان وإيلات؛ كما استهدفت، للمرة السابعة في أقل من 20 يوماً، حاملة الطائرات الأميركية «هاري ترومان» في البحر الأحمر.

ومن وسط مليونية شعبية تضامنية مع غزة شهدها ميدان السبعين في صنعاء، توازياً مع فعاليات مماثلة في المحافظات الواقعة تحت سيطرة حركة «أنصار الله»، أعلن الناطق باسم القوات اليمنية، العميد يحيى سريع، تنفيذ 3 عمليات عسكرية ضد العدو، الأولى استخدمت فيها 4 صواريخ مجنّحة ضد أهداف عسكرية في إيلات جنوب فلسطين المحتلة؛ والثانية طاولت أهدافاً حيوية في تل أبيب بواسطة 3 طائرات مسيّرة؛ والثالثة ضربت هدفاً حيوياً في منطقة عسقلان بطائرة مسيّرة. وأشار بيان سريع، والذي يرى مراقبون أنه لن يكون الأخير في ظل استمرار التصعيد الإسرائيلي في غزة، وكذلك استمرار العدوان الأميركي - البريطاني على اليمن، إلى أن قوات صنعاء نفّذت أيضاً عملية عسكرية جديدة ضد حاملة الطائرات «هاري ترومان» شمال البحر الأحمر، بعدد من الطائرات المسيّرة، في هجوم يعدّ الثاني من نوعه ضد الحاملة نفسها في غضون 72 ساعة، والسابع منذ أواخر كانون الأول الماضي.

في المقابل، شنّ الطيران الأميركي والبريطاني، أمس، عدواناً جديداً على اليمن، طاول منطقة حرف سفيان في محافظة صنعاء، بخمس غارات، في ما يمثل العدوان الرابع الذي يستهدف المنطقة خلال أسبوعين. وزعمت «القيادة المركزية الأميركية»، في بيان، أن «استهداف منطقة حرف سفيان يأتي على خلفية استخدامها من قبل الحوثيين في شن هجمات بحرية».

على الغلاف

لم تعد وتيرة المجازر والقصف الجوي في قطاع غزة على رغم اقتراب موعد تنفيذ الاتفاق (أ ف ب)

ساعات ثقيلة على الغزيين
العدو يزداد تغوّلاً

غزة - **يوسف فارس**

تُحتسب الساعات المتبقية لدخول وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ ظهر غدٍ الأحد، بعقرب الثواني الذي تدقّ له نبضات القلب؛ ففي داخل كل سكان غزة هاجس «الأضحية الأخيرة»، والحق أنه شعور مستحق، بالنظر إلى ما يظهره جيش الاحتلال من تغوّل وتصعيد في وتيرة القصف الذي لا يكاد يتوقف. ومع ذلك، تدور أحاديث مطوّلة عن خطط اللحظات الأولى لوقف إطلاق النار، حيث يمتلك كل غزّي ما يشغله من هموم. في شمال القطاع الذي هُجّر أهله قبل أكثر من 100 يوم، سيتمكّن الإهالي لأول مرة من الوصول إلى المناطق المحاصرة، والتي شاهدوا أبنيتها وهي تتبخّر في شكل السنة من اللهب والغبار الرمادي. يقول محمد صالحة، النازح من حي تل الزعتر: «أول شيء رح أبحث عن أقربائي، مفقود الاتصال فيهم من 60 يوماً، إذا شهداء رح ندفن جثامينهم، وبعدها نطمئن على ما تبقّى من بيوتنا، حتى نبدأ في معركة البحث عن مكان للمبيت».

أما البيوت التي يسكنها النازحون في شمال وادي غزة، فهي في معظمها ملك لأقربائهم أو جيرانهم النازحين في جنوب القطاع؛ ولذا، سيتعين على آلاف الأسر البحث عن مأوى. ويقول عاهد علي في حديثه إلى «الأخبار»: «فرحانين والله بوقف الحرب، لكن همومنا كبيرة، أنا وعائلتي ساكنين في منزل أقرباء لنا نازحين في جنوب القطاع. من بداية وقف النار، رح نبدأ مهمة البحث عن مأوى، بيتنا في جباليا مدمّر، ولازم نترك البيت لأهله الله يبارك فيهم». وبالنسبة إلى سماح حجازي، فإن أول ما ستقوم به فور وقف إطلاق النار، هو البحث عن جثمان شقيقها محمد، ثم إكرامه بالدفن ليهدأ قلب أمها المكلوم. وفي هذا الإطار، تفيد مصادر مطّلعة، «الأخبار»، بأن المئات من جثامين الشهداء أو ما تبقّى منها، لا تزال ملقاة في شوارع شمال القطاع، وتحاول طواقم الدفاع المدني والخدمات الطبية الحصول على التصاريح وتنسيق مبكرَين، للقيام بمهمة انتشالها من الشوارع، إلى جانب التأكد من عدم وجود ذخائر غير منفجرة من مخلّفات الاحتلال، قبل السماح بعودة النازحين لتفقد الأحياء المدمّرة.

> سيتمكّن الاهالي للمرة الاولى من الوصول إلى المناطق المحاصرة

وفي الميدان، لم تهدأ وتيرة المجازر والقصف الجوي، حيث ارتكبت الطائرات الحربية جريمة بشعة بحق عائلة الزميل الصحافي عامر السلطان، بقصف منزل ذويه في حي جباليا البلد، والذي كان يؤوي زوجته وأولاده وأمه وأباه وأكثر من عشرة من إخوانه وأقاربه، ما تسبّب بارتقاء 20 من سكان المنزل، من دون أن تتمكن سيارات الإسعاف من الوصول إليهم حتى ساعات ظهر يوم أمس. كذلك، شنّت الطائرات المسيّرة العشرات من الغارات تجاه تجمعات المواطنين في أحياء الشجاعية والتفاح والدرج والشيخ رضوان، في حين شهدت المناطق المحاصرة مزيداً من عمليات التدمير والنسف للكتل السكانية عبر الروبوتات المفخّخة، والتي امتدت إلى أطراف حي الصفطاوي المحاذي لحي الشيخ رضوان المكتظ بالنازحين.

توقف إلى تفاصيل الحياة: بماذا يحلم مهجّرو غزة؟

غزة - **هداية محمد التتر**

النوم من دون خوف، الطهو على الغاز، تنظيف المنزل، والاجتماع الأسبوعي مع العائلة الكبيرة؛ كلها تفاصيل بسيطة في حياة الإنسان الطبيعي، إلا أنّها أصبحت حلماً بالنسبة إلى الفلسطينيين في قطاع غزة. فالغزيون جميعهم يتوقون إلى شعور بالاستقرار والأمان، بعدما حُرموا منه لأكثر من 15 شهراً، بسبب كثرة التنقل والنزوح هرباً من نيران الاحتلال.

وفي السياق، يقول معتصم مسلم، البالغ من العمر 42 عاماً، إنّه «كسر رقماً قياسياً في عدد المرات التي تنقّل بها»، بعدما حمل وعائلته أمتعتهم في حقيبة صغيرة، ثلاثين مرة، وطافوا بها «الاتجاهات الأربعة لمدينة غزة». ويضيف في حديث إلى «الأخبار»: «أحلم بنوم عميق في مكان هادئ لا يعكّر صفوه صوت قذائف الدبابات وأزيز طائرات الاستطلاع الإسرائيلية، فأنا لم أذق طعم النوم ليوم واحد».

من جهتها، تحلم أسماء الناجي (36 عاماً)، بمياه ساخنة من الصنبور، يستحمّ بها أطفالها، من دون عناء نقل المياه وتسخينها على النار، مردفةً: «أصبحنا نتشوّق إلى رؤية الإضاءة تملأ المكان في الليل، بعدما عشنا على إضاءة الهاتف المحمول طوال عام وثلاثة أشهر، التي أرهقت عيوننا». أمّا أطفالها، فهم متشوّقون للتخفف «من حمل المياه وإعداد الخبز والتوجه به إلى الطابون»، ويتساءلون عن اليوم الذي سيعودون فيه إلى دراستهم وحياتهم الطبيعية، بعدما أدركوا أنها كانت «ثمينة للغاية».

وبالحديث عن حياة الغزيين قبل العدوان الإسرائيلي، تؤكد أماني السيد أنها «أدركت قيمة حياتها السابقة، ولن تتأفف منها في حال عادت»، مشيرة إلى أنّ «ترتيب البيت والغسيل على الغسالة الكهربائية وتدريس الأولاد، كانت كلها بمثابة رفاهية». وتستذكر الثلاثينية هناء ولن أجد زوجي الذي خطفته آلة القتل الإسرائيلية»، على حدّ قولها. أمّا يسرى بصل (40 عاماً)، فتفتقد طقوسها وحياتها المنظّمة وتدوين أهدافها اليومية، مؤكدةً لـ«الأخبار» أنّ تفكيرها إزاء أطفالها كان ينصبّ على «كيفية تطورهم وتنمية ذكائهم وحفظهم لكتاب الله»، بينما باتت اليوم تفكّر بطريقة لـ«اختراع» الطعام لهم، في ظل المجاعة وشح الأطعمة وسعرها الخيالي إن وجدت».

> يستصعب كثيرون العودة إلى منازلهم بعدما خطفت آلة القتل الإسرائيلية أحباءهم

وطاول الفقد أيضاً قلب العشرينية زينب عيسى، التي لا تزال تسترجع، على الدوام، «مساندة زوجها لها في كل جوانب الحياة، واللحظات الجميلة التي جمعتهما»، بعد مرور عام وشهرين على استشهاده. ورغم حنينها الكبير إلى المنزل الذي تركته في أول يوم من الحرب، إلا أن ذلك الحنين يخيفها، «لأنني سأعود الزبدة، بدورها، اللقاءات التي كانت تجمعها وأفراد عائلتها، أسبوعياً، في بيت العائلة، قبل أن يدمّره الاحتلال ويشتّت أهله بين الشمال والجنوب، قائلةً: «كانت لقاءاتنا تتزين بالضحك والفكاهة، والمفاجآت الجميلة التي يصنعها بعضنا لبعض في مناسباتنا المختلفة، والتي حرمنا إياها الاحتلال الذي قتل اثنين من إخوتي واعتقل آخر، وهجّر والدي قسراً إلى جنوب القطاع».

رسائل «ترامبية» تطمينية إلى «قسد»
أربيل وسيطاً بين أنقرة والأكراد

الحدث

شهد الملف الكردي في سوريا تطوّرات لافتة، في اليومَين الماضيَين، بعد زيارة «تاريخية» هي الأولى من نوعها للقائد العام لـ«قسد»، مظلوم عبدي، إلى إقليم كردستان العراق، حيث التقى زعيمه، مسعود بارزاني. وفي الموازاة، تلقّى الأكراد تطمينات من جانب إدارة الرئيس الأميركي المنتخب، دونالد ترامب، والتي أكدت استمرار دعمها «قسد»، وهو ما ترافق أيضاً مع زيارة أجراها قائد القيادة المركزية الأميركية، مايكل كوريلا، إلى مناطق «قسد»، حيث أكد مواصلة الجهود المشتركة ضدّ تنظيم «داعش». وأتت زيارة عبدي لأربيل، بعد عدة أيام من أخرى أجراها حميد الدربندي، مبعوث بارزاني، إلى سوريا، للقاء ممثّلين عن «الإدارة الذاتية» و«المجلس الوطني» الكردي، وذلك بهدف دفع عملية توحيد الصف الكردي في سوريا قدماً.

وعلى خلفية زيارته لأربيل، كتب عبدي، في تغريدة عبر منصة «إكس»، أن موقف الجانبَين متطابق لجهة توحيد الصف الكردي، وهما أكدا أيضاً «استمرار الحوار السلمي مع دمشق لضمان حقوق الشعب الكردي». وفي هذا الإطار، أفادت مصادر كردية مطّلعة، «الأخبار»، بأن «اللقاء ركّز على ضرورة وقف الهجمات التركية، بوساطة من إقليم كردستان العراق، عبر دعم الجهود الأميركية، في مقابل ضمانات بانسحاب عناصر حزب العمال الكردستاني من حَمَلة الجنسيات الأجنبية». كذلك «تمّ التأكيد على المصالحة الكردية لتشكيل مرجعية كردية موحدة تشمل كل الأحزاب الناشطة في شمال شرق سوريا»، وفق المصادر نفسها، التي أوضحت أنه «اتُّفق على تشكيل وفد كردي موحّد للذهاب إلى دمشق، ولقاء الإدارة السورية الجديدة». وأشارت إلى أن «النقاشات تركّزت أيضاً حول بحث إمكانية دخول قوات بيشمركة روجافا إلى مناطق قسد، ومنحها دوراً في حماية المنطقة».

وبعدما ساد غموض توجه ترامب إزاء مستقبل دعم «قسد»، والقوات الأميركية في سوريا، ظهر أول موقف لإدارته في هذا الخصوص، وذلك على لسان المرشح لمنصب وزير الخارجية، ماركو روبيو، الذي جدّد دعمه لـ«قسد»، خلال جلسة استماع أمام «لجنة العلاقات الخارجية» في مجلس الشيوخ الأميركي. وقال روبيو إن «إدارة الرئيس ترامب ستطلب من تركيا عدم تنفيذ أيّ أعمال عدائية ضدّ الكرد في سوريا»، مؤكداً «استمرار الولايات المتحدة في دعم قسد في ظلّ العملية ضدّ تنظيم داعش»، فيما حذّر من «التخلّي عن الحلفاء». وأوضح روبيو أن «أحد أسباب قدرتنا على تفكيك داعش، هو أن الأكراد يحرسون سجون التنظيم»، مشيراً إلى أن «الحالة التي تريد أميركا أن تصل إليها سورياً، هي ألا تكون ملاذاً لداعش، إضافة إلى حماية كل الأديان والأكراد». وقال أيضاً إنه «يجب ضمان عدم استخدام الأراضي السورية من قِبل إيران لنشر أجندتها».

ويمثّل الموقف المتقدّم اعتراضاً أميركياً على سياسة أنقرة التي تريد استثمار سقوط نظام الأسد للقضاء على التنظيمات الكردية في كل من سوريا وتركيا، في ما ينذر بأستمرار الخلافات الأميركية - التركية في ملف «قسد». وجاء الردّ التركي على الموقف الأميركي سريعاً من خلال تصعيد القصف الجوي على كل من مناطق عين العرب (كوباني) وريف منبج وصرين ومحيط سد تشرين، وتوسعته ليشمل مدينة القامشلي، عبر استهداف مبنى في الحي الغربي في المدينة. والظاهر أن أنقرة تريد ستطلب من تركيا عدم تنفيذ أيّ التصعيد عسكرياً للضغط على الإدارة الأميركية الجديدة للتخلّي عن «قسد»، مع إبداء استعدادها للتعاون مع الإدارة السورية الجديدة لضبط سجون «داعش» ومخيماته، وتبديد مخاوف واشنطن إزاء هذا الملف، الذي تراه الأخيرة مهمّاً لجهة ضمان عدم استغلال التنظيم أيّ فراغ أمني والفرار من المعتقلات والمخيمات.

في الموازاة، أجرى قائد «سنتكوم»، مايكل كوريلا، جولة على القواعد الأميركية المنتشرة في سوريا، حيث التقى مسؤولين أميركيين وآخرين من «قسد» لبحث ملف محاربة «داعش» في سوريا. وقالت «سنتكوم» إن «اللقاءات هدفت إلى الحصول على تقييم لحملة هزيمة داعش، والجهود المبذولة لمنع عودة ظهور الجماعات الإرهابية في المنطقة، بالإضافة إلى الوضع المتطوّر في سوريا»، مضيفة أنه زار «مخيّم الهول» للنازحين، حيث دعا إلى «بذل مزيد من الجهود الدولية لإعادة أسر التنظيم إلى دولهم لتأهيلهم ودمجهم»، مؤكداً أن «واشنطن ستواصل العمل مع المجتمع الدولي لنقل مقاتلي داعش إلى بلدانهم الأصلية للبتّ في أمرهم». في هذا الوقت، تتواصل الجهود الثنائية بين كل من الإدارة السورية الجديدة و«قسد»، وسط أنباء عن قرب تحقق جاهزية اللجان المشتركة بين الجانبين لدراسة أوضاع مناطق شمال شرق سوريا، وذلك بعد افتتاح مقرّ لـ«مجلس سوريا الديموقراطية» في دمشق بهدف تسريع هذا المسار. وفي هذا الإطار، أكد القيادي في «إدارة العمليات العسكرية» في الإدارة السورية الجديدة، أحمد الدالاتي، أن «الإدارة الجديدة تفضّل التوصّل إلى تسويات سلمية لحل الخلافات مع قسد»، مشيراً إلى أن «الحلّ العسكري سيكون آخر الخيارات المطروحة في هذا الملف». من جهته، نفى مدير المركز الإعلامي لـ«وحدات حماية الشعب» الكردية، سيامند علي، «وجود أيّ مفاوضات مع الإدارة السورية الجديدة بخصوص ملفات حسّاسة مثل معتقلي داعش وعائلاتهم»، معتبراً أن «مثل هذه الملفات تحتاج إلى مداولات شاملة لضمان توافقها مع مصالح الأطراف المعنية». وبيّن أنه «في مناطق شمال شرق سوريا، يوجد 26 سجناً، يحتجز فيها أكثر من 12 ألف معتقل قاتل في صفوف داعش، ينحدرون من 55 دولة، وغالبيتهم من سوريا والعراق»، لافتاً إلى أن «أيّ قرارات مستقبلية ستكون مدروسة بعناية بالاستناد إلى ضمان استقرار المنطقة».

(الأخبار)

وقف الهجرة همّاً أوّل
أوروبا تفتح «حنفيّة» المساعدات لسوريا

في خطوة أوروبية جديدة نحو سوريا، بعد سقوط نظام الرئيس السابق بشار الأسد، أعلنت المفوضية الأوروبية تقديم حزمة مساعدات جديدة بقيمة 235 مليون يورو لدعم سوريا ودول الجوار، في وقت أبدت فيه الأمم المتحدة تفاؤلها بانطلاق عملية إعادة الإعمار بعد تحقيق الانتقال السياسي، وفق برنامج تنموي محدد يجري إعداده. وأعلنت المفوّضة الأوروبية للمساواة وإدارة الأزمات، حاجة لحبيب، التي زارت سوريا والتقت قائد الإدارة السورية الجديدة أحمد الشرع، خلال مؤتمر صحافي عقب اللقاء، أن حزمة المساعدات الأوروبية الجديدة تهدف إلى المساهمة في توفير احتياجات رئيسيّة في مجالات المأوى والغذاء والمياه النظيفة والخدمات الصحية والتعليم في حالات الطوارئ، مشيرة إلى أن مسؤولية توفير السلام والاستقرار للشعب تقع على عاتق الإدارة الجديدة.

وتأتي حزمة المساعدات الأوروبية الجديدة، والتي تتزامن مع حراك لرفع العقوبات الأوروبية على دمشق - أسوة بالولايات المتحدة التي منحت استثناء لمدة ستة أشهر من بعض العقوبات -، في سياق الجهود الأوروبية المتواصلة للحدّ من موجات الهجرة نحو القارة، إضافة إلى محاولة فتح باب عودة اللاجئين إلى سوريا. وفي هذا السياق، قالت لحبيب إن «ما نودّ أن نراه هو مستقبل مشرق لسوريا يسود فيه حكم القانون وتحترم حقوق الإنسان وخصوصاً حقوق المرأة، نحن نحتاج إلى أن نرى هذا فعلاً». وتابعت أن «هناك بعض الدول الأوروبية مع إزالة العقوبات، لكننا نحتاج إلى إجماع على هذا الأمر. الكرة الآن في ملعب السلطات الحالية أيضاً». وسبق الإعلان عن المنحة الأوروبية إعلان ألماني عن منحة بقيمة 60 مليون يورو لدعم مشاريع إغاثية وإنسانية.

في غضون ذلك، أعلن المنسق المقيم للأمم المتحدة ومنسق الشؤون الإنسانية في سوريا، آدم عبد المولى، استئناف العمل بخطط دعم وإعادة الإعمار في سوريا بالتعاون مع الإدارة الجديدة في دمشق، مشيراً إلى أنه متفائل بهذا الشأن شرط نجاح الانتقال السياسي في البلاد، وتابع: «يجب أن تكون الفترة الانتقالية آمنة ومبنية على توافق بين السوريين بمختلف طوائفهم وانتماءاتهم». وأشار عبد المولى، الذي يدير صندوقاً خاصاً لتمويل مشاريع التعافي المبكر، تم إطلاقه في تشرين الثاني من العام الماضي، بناءً على خطةٍ تهدف إلى جمع تمويل خاص لدعم عمليات إعادة الإعمار، إلى وجود مقترح يجري العمل عليه لدعوة دول «مجلس التعاون الخليجي» إلى عقد مؤتمر دولي للمانحين في الربيع المقبل، بهدف جمع موارد لدعم إعادة الإعمار. وأكد خلال مؤتمر صحافي عقده في دمشق بهدف الإعلان عن استمرار عمل الصندوق، أن «استراتيجية التعافي المبكر لا تزال قائمة رغم عدم تسجيل صندوقها المالي في نيويورك حتى الآن»، موضحاً أن الصندوق المقترح سيخصص لإعادة الإعمار، بمجرد انطلاق هذه الجهود.

> عقد مسؤولون في وزارات الخارجية الخليجية اجتماعاً افتراضياً حول سوريا

كما أكد المنسق الأممي أن الأمم المتحدة تسعى إلى دعم جميع المناطق الجغرافية، بغضّ النظر عن الجهة السياسية المسيطرة، مع التركيز على توفير المساعدات الإنسانية لكل السوريين، داعياً إلى رفع العقوبات المفروضة على سوريا لتسهيل هذه العملية. وقال إن «رفع العقوبات سيعزّز القدرة على الحصول على قروض ومنح من الصناديق الدولية والبنك الدولي، ما يسرّع جهود إعادة الإعمار ويدعم الاقتصاد المحلي»، مشدداً على التزام المنظمة الدولية بخدمة الشعب السوري بعيداً عن الأجندات السياسية، ومشيراً إلى أن الجهود مستمرة لتوفير بيئة آمنة تمكّن السوريين من استعادة حياتهم واستقرارهم الاقتصادي والاجتماعي.

على خط موازٍ، عقد مسؤولون في وزارات الخارجية الخليجية اجتماعاً افتراضياً، توافقوا خلاله على خريطة طريق للمرحلة المقبلة في سوريا. وقال مساعد وزير الخارجية الكويتي لشؤون «مجلس التعاون»، نجيب البدر، الذي ترأس الاجتماع، إنه جرت مناقشة التطورات الجديدة في سوريا وطرق التعامل معها بما يخدم المصالح المشتركة لدول المنطقة. وتابع: «جاء الاجتماع تنفيذاً لمُخرجات اللقاء الوزاري الاستثنائي، والذي استضافته دولة الكويت في 26

المفوضية الأوروبية تقدّم حزمة مساعدات لسوريا بـ 235 مليون يورو (أ ف ب)

كانون الأول الماضي، وهو يعكس التزام دول المجلس بالمتابعة الدقيقة للأوضاع في سوريا»، موضحاً أن الاجتماع «يهدف إلى بلورة رؤية استراتيجية وخطوات عملية، يمكن البناء عليها خلال المرحلة المقبلة، لضمان تفعيل دور المجلس في دعم أمن سوريا واستقرارها، بالتنسيق مع الشركاء الإقليميين والدوليين».

أما على الصعيد الداخلي، فأعلنت دائرة الإحصاء عن إطلاق عملية شاملة لجمع بيانات دقيقة عن الأحياء والمجتمعات المحلية في سوريا. وقال مدير دائرة الإحصاء، محمد الموسى، إن العملية تستهدف بشكل خاص الفئات الأكثر ضعفاً، مثل الأفراد ذوي الإعاقات، بهدف تحسين التخطيط وتوجيه الموارد لتحقيق العدالة الاجتماعية وتعزيز الخدمات المقدمة، موضحاً أن اللجان المجتمعية ستبدأ تنفيذ العملية خلال الأيام المقبلة، قبل أن يتم ربط قاعدة البيانات الناتجة منها بقاعدة بيانات النفوس لضمان دقة المعلومات وتكاملها. وتابع أن «المبادرة تأتي ضمن جهود الدائرة لتوفير بيانات موثوقة تُسهم في تحسين السياسات العامة وتلبية احتياجات السكان بشكل أكثر كفاءة»، وفق تعبيره. وتأتي إطلاق عملية الإحصاء تنفيذاً لقرارات أصدرها الشرع، الذي رأى، في تصريحات عديدة سابقة، أن عملية كتابة دستور جديد للبلاد وإجراء انتخابات، تحتاج إلى إحصاء بهدف معرفة عدد السوريين وأحوالهم بشكل دقيق، بعد 14 عاماً من الحرب التي تسببت بوجود ملايين السوريين غير المسجلين.

(الأخبار)

قضية

بوادر «بيريسترويكا» أميركية
ترامب يسرّع احتضار «النظام الدولي»

ملاك حمود

أشبه بنسخة أميركية من «البيريسترويكا» Perestroika، أو «إعادة الهيكلة»؛ هذا ما يبدو عليه، إلى الآن، توجّه الإدارة الأميركية الجديدة، والذي يخاطر بنموذج «فريد» قامت عليه أميركا، وسيكون من شأنه - في حال نجاحه - تمييع أدوات نفوذها، على رغم افتراض أصحابه أن التفوّق الأبديّ لا يزال في متناول اليد، وأن الانكفاء ضروريّ لمخاطبة هواجس الداخل، وابتداع حلول تخفّف من العبثيّة المنفلشة في الخارج. هكذا، تغادر إدارة جو بايدن مخلّفةً خراباً كبيراً على المستويات كافة، فيما تستهلّ إدارة دونالد ترامب ولايتها بوعود ضخمة، ستؤسّس، فما لو تحقّق بعضها، لنموذج جديد عنوانه الطباعة، وما يمكن أن تولّده هذه الأخيرة من تجذير لفكرة الزعيم المطلق. يدخل ترامب البيت الأبيض مطلق اليدين، متحلّلاً من همّ ولاية رئاسية أخرى، ولكن حالماً بأن يكون ما يسعى وراءه، بداية «انقلاب» حقيقي يرسّخ «أميركا كما لم تُرَ من قبل». ولعلّ واحدة من أبرز تلك الأدوات، «مشروع 2025»، وما يتفرّع منه من خطط يراد منها، كما يقول الرئيس المقبل، «تفكيك الدولة العميقة»، والتي ليست على أيّ حال كياناً متجانساً، بل مجموعة «دوبلات» تتقاطع مصالحها وتتضارب حتى في ما بينها. أمّا على مستوى السياسة الخارجية، فسيعاد الاعتبار إلى مبدأ «أميركا أولاً»، والذي ثمّة مَن يخشى أن «يقوّض» الميزة والاستثناء الأميركيَين.

تتقاطع السياستان المذكورتان عند السعي وراء الانكفاء، وإنْ كانت الأحداث الدولية (حربا أوكرانيا وغزة مثالان) تُظهر أن حظوظ خيار كهذا شبه معدومة. مع ذلك، يمضي ترامب في محاولته صقل إرثه المحافظ، من خلال تبنّي أهداف طموحة، من قبيل إصلاح الحكومة الفدرالية، وإحداث تحوّل جذري في أنظمة الحكم، فضلاً طبعاً عن تطهير الوكالات من «الليبرالية الراديكالية»، وفقاً لتوصيات «مشروع 2025»، والذي أعدّته مؤسسة «هيريتيج» الفكرية المحافظة الأميركية. ولعل من أبرز طروحات المشروع المذكور: إلغاء التشريعات الخاصة بالمناخ، وإغلاق مكتب حماية المستهلك، وحلّ وزارتَي التجارة والتعليم، وزيادة الضرائب على الطبقة المتوسطة لتمويل تخفيضات الضرائب على أصحاب الملايارات والشركات، كما الحدّ من سلطة الحكومة في فرض قوانين تمويل الحملات الانتخابية المصمّمة - كما يُشاع - لردع الفساد القائم على الدفع مقابل الولاء. وإذا كان ترامب قد سارع إلى التنصّل من تلك الخطّة المحافظة، فإن أجندته، أو على الأقل الجزء المعلن منها، تكاد تتماهى مع الطروحات الآنفة، في ظلّ سعيه إلى «تفكيك الدولة العميقة، واستعادة ديموقراطيتنا من فساد واشنطن إلى الأبد» - أو بتعبير «هيريتيج»: «تفكيك الدولة الإدارية وإعادة الحكم الذاتي إلى الشعب الأميركي» -. باختصار، يقول ترامب:

1- سأُعيد أمْري التنفيذي الصادر في 2020، والذي يمنح الرئيس سلطة إزاحة البيروقراطيين المارقين، وسأستخدم السلطة بقوّة شديدة؛
2- سنُطهّر الأمن القومي والاستخبارات من الفاسدين؛
3- سنُصلح المحاكم التي باتت فاسدة؛
4- سنكشف الخداع وإساءة استخدام السلطة الذي مرّق بلادنا، وسنتبنّى لجنة الحقيقة لرفع السرّية عن وثائق

> يمضي ترامب في محاولته صقل إرثه المحافظ، من خلال تبنّي أهداف طموحة، من قبيل إصلاح الحكومة الفدرالية، وإحداث تحوّل جذري في أنظمة الحكم

الدولة العميقة المتعلّقة بالتجسُّس والفساد، وما أكثرها؛
5- سنُطلق حملة مسرّبي المعلومات الحكومية المتورّطين في نشر الأخبار المزيّفة عمداً؛
6- سنجعل المفتّشين العامّين مستقلّين، كي لا يخضعوا للدولة العميقة وبحموها؛
7- سأطلب من الكونغرس إنشاء نظام تدقيق مستقلّ لمراقبة عمل الاستخبارات، لضمان عدم تجسّسهم على المواطنين أو تضليل الشعب؛
8- سنُنقل أجزاء من الحكومة الفدرالية البيروقراطية إلى خارج مستنقع واشنطن؛
9- سأمنع البيروقراطيين من التعامل مع الشركات ثم العمل فيها لاحقاً، كما هي الحال مع شركات الأدوية الكبرى؛
10- سأدفع إلى تعديل دستوري يحدّد مدّة عضوية الكونغرس.

(أ ف ب) ترامب يوقّعون لنموذج جديد عنوانه الطاعة

وفي مقابل تلك الخطط الطموحة، والتي ليس واضحاً ما إذا كانت ستتحوّل إلى «فرمانات»، يعيد ترامب إحياء سياسة «أميركا أولاً»، والتي تُعدّ مكمّلة لمشروع خلخلة «الدولة العميقة»، ففي مقالتهما المنشورة في دورية «فورين أفيرز» بعنوان «كيف تعمل سياسة أميركا أولاً على تقويض الميزة الأميركية»، يناقش أستاذا العلوم السياسية والحكومة، الكسندر كولي ودانييل نيكسون، الفرضية القائلة إن فوز ترامب بالانتخابات الرئاسية مجدّداً، يمكن أن يُمثّل ضربة قاصمة لِما يُعرف بـ«النظام الدولي الليبرالي» في ظلّ إزدرائه المؤسسات والهيئات الرئيسيّة التي شيّدته واشنطن للحفاظ على هذا النظام والتربّع على عرشه، من المناهضين للعولمة و«النظام الدولي الليبرالي». ولذلك، «لا شكّ في أن ولاية ترامب الثانية ستُعيد توجيه السياسة المحلية والدولية (...) لكن رئاسته لن تُنهي ما يُسمى بالنظام الدولي الليبرالي، لسبب بسيط، وهو أن ذلك النظام يحتضر بالفعل». إذ بالنسبة إلى الكاتبَين، فقد عزّز التدهور النسبي لدول «مجموعة السبع» أوراق المساومة لدى الدول الأضعف، وللمرّة الأولى منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، باتت تلك الدول تتمتّع ببدائل ذات مغزى للأسواق الغربية، وبوسائل الحماية العسكرية. أيضاً، أدى صعود اليمين المحافظ (الشعبوية الرجعية)، وفق وصف كولي ونيكسون) - ليس في أميركا الشمالية وأوروبا فقط، ولكن أيضاً في الهند وإجراء من أميركا اللاتينية - إلى تحطيم الهيمنة الأيديولوجية لليبرالية. وليس أدل على ذلك من احتفاظ بايدن بجوانب رئيسيّة من النهج الاقتصادي لسلفه وغيرها من الوكالات. وإذا كان النظام الدولي في خضمّ تهديد كبير، حتى قبل صعود ترامب، فإن السياسات القومية للرئيس المنتخَب وفريقه، بحسب الكاتبين، «تهدّد بتقويضه إلى غير رجعة». والنتيجة المترتّبة على ذلك، من وجهة نظرهما، ليست أن أميركا ستصبح أكثر قوّة كما يأمل ترامب، ولكنها «ستفقد تفوّقها، وربّما يتعرّض أمنها القومي للخطر، نتيجة تخلّيها عن المقوّمات التي أسّست للهيمنة الأميركية على مدى أكثر من 50 عاماً».

وكان ترامب قد وعد خلال حملته الانتخابية، بتبنّي سياسة خارجية قومية تقوم على مبدأ «أميركا أولاً»، معزّزاً إيّاها بترشيحات وتعيينات من شأنها تعزيز نفوذ الموالين لـ«ماغا» من المناهضين للعولمة و«النظام الدولي الليبرالي». ولذلك، لا شكّ في أن ولاية ترامب الثانية ستُعيد توجيه السياسة المحلية والدولية (...) لكن رئاسته لن تُنهي ما يُسمى بالنظام الدولي الليبرالي، لسبب بسيط، وهو أن ذلك النظام يحتضر بالفعل». إذ بالنسبة إلى الكاتبَين، فقد عزّز التدهور النسبي لدول «مجموعة السبع» أوراق المساومة لدى الدول الأضعف، وللمرّة الأولى منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، باتت تلك الدول تتمتّع ببدائل ذات مغزى للأسواق الغربية، وبوسائل الحماية العسكرية. أيضاً، أدى صعود اليمين المحافظ (الشعبوية الرجعية)، وفق وصف كولي ونيكسون) - ليس في أميركا الشمالية وأوروبا فقط، ولكن أيضاً في الهند وإجراء من أميركا اللاتينية - إلى تحطيم الهيمنة الأيديولوجية لليبرالية. وليس أدل على ذلك من احتفاظ بايدن بجوانب رئيسيّة من النهج الاقتصادي لسلفه

ترامب يحنّ إلى الاستعمار القديم: هكذا تعود أميركا عظيمة!

ريم هاني

تذر تصريحات الرئيس المنتخب، دونالد ترامب، حول نيته «الاستيلاء» على دول أخرى وضمها إلى الولايات المتحدة، ولو عبر الحروب، بأنها من جملة الأمور الكثيرة التي يعتزم الأخير الانقلاب عليها، في العهد القادم، الاستراتيجية التي اتبعتها بلاده منذ بداية القرن العشرين تجاه الدول الحليفة، والعودة، في المقابل، إلى «عقلية» القرن التاسع عشر وما قبله، أي عندما كانت واشنطن تسعى إلى اكتساب النفوذ عبر «الغزوات الإقليمية». على أن العديد من المراقبين يجادلون بأنه في حين أن «استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى» بعد عام 1945، والتي استندت إلى فكرة أن البلاد يمكن أن تكون «صديقة» لجميع الدول التي تشاركها «قيمها الأساسية»، تحتاج إلى «تعديل» لتواكب «تغيّرات العصر»، إلا أنّ التخلص منها لمصلحة الحروب والاحتلال، لن يجعل الولايات المتحدة «عظيمة مرة أخرى»، بل سيخترلها إلى مجرد «دولة متنمّرة تحكم بالقوّة والترهيب»، منبّهين إلى أن مثل ذلك السيناريو سيخلق ردود فعل عدائية ضدها، ويقضي على تحالفاتها مع دول أخرى.

غرينلاند

وبالنظر إلى احتدام المنافسة على الساحة العالمية، بشقها الاقتصادي تحديداً، ولا سيما مع الصين، جنباً إلى جنب المخاوف الأميركية من خسارة «السيطرة أحادية الجانب» على ثروات الكوكب، يصبح بالإمكان فهم الأسباب الكامنة وراء تهديدات الرئيس المنتخب الأخيرة. وفي ما يتعلق بغرينلاند تحديداً، يرد في تقرير نشره «المجلس الأطلسي» أنّ الجزيرة تعدّ ذات أهمية استراتيجية لأسباب عدة، وعلى رأسها احتواؤها على ثروة من المعادن والغاز الطبيعي والنفط؛ ووفقاً لـ«المفوضية الأوروبية»، فقد عُثر فيها على خمس وعشرين من «المواد الخام الحرجة» الأربع والثلاثين التي صنفتها أوروبا على أنها مهمة لمستقبلها، بما في ذلك تلك المستخدمة في صنع البطاريات وتوربينات الرياح والمركبات الكهربائية. وتشكل الجزيرة الغنية بالمعادن، أيضاً، البديل المستقبلي المحتمل لـ«شبه احتكار الصين الحالي للمعادن الأرضية النادرة»، بحسب التقرير.

كذلك، تتخوف واشنطن من النشاط الروسي المتزايد في المنطقة وهدف الصين المتمثل في التقرب من «القطب الشمالي»، ما يجعل فرض الولايات المتحدة نفوذها على الجزيرة بمثابة «أولوية للأمن القومي»، ولا سيما وسط حديث العديد من المحللين عن احتمال اندلاع نوع من «المواجهة الاقتصادية» في الجبهة الجليدية، في وقت يؤدي فيه تغيّر طبيعة ممرات الشحن، ما يسهل نقل الثروات. ويضاف إلى ما تقدم، أنّ غرينلاند هي موطن «قاعدة بيتوفيك» الفضائية الأميركية، والتي تضم بشكل دائم الجيش الأميركي ونظام الإنذار المبكر للصواريخ البالستية، كما يمر أقصر طريق من الولايات المتحدة إلى أوروبا عبرها.

وطبقاً للمصدر نفسه، فمن الناحية «اللوجستية»، لن يتمكن ترامب من «الاستيلاء» على الجزيرة، ولا سيما أنها خاضعة للدستور الدنماركي، وإن كان لديها رئيس وزراء مستقل. على أنه كان لافتاً إعلان رئيس البرازيل، خلال خطاب بمناسبة بداية العام، نيته الاستقلال عن الدنمارك وإزالة «القبود» الاستعمارية، علماً أنّ غرينلاند ستشهد، في نيسان القادم، انتخابات برلمانية واستفتاء حول «حق تقرير المصير». وإذ يؤيد 3 أحزاب - بما فيها الحزب الحاكم - من أصل 5، الاستقلال، ينقل التقرير عن الباحث الدنماركي، أولريك برام جاد، قوله «إن سكان غرينلاند لا يريدون الخضوع لسيد استعماري جديد».

بنما

وفي ما يخص بنما، يربط موقع «ذا كونفرسيشن» الأميركي تصريحات ترامب حول الاستيلاء على «القناة» باستراتيجية واشنطن الأوسع نطاقاً تجاه القارة اللاتينية تاريخياً. وفيما يتحدث ترامب عن «الظلم» الذي تعرضت له بلاده من البنميين في السنوات الأخيرة، مدّعياً «زوراً» أنّ بنما سلمت تشغيل المشروع الأميركي الضخم إلى الصين، يؤكد التقرير الذي نشره الموقع أنه فيما تقوم شركة مقرها هونغ كونغ بتشغيل اثنين من الموانئ على أطراف القناة، إلا أنّ الأخيرة تدار، بالكامل، من وكالة حكومية مستقلة، هي «هيئة قناة بنما». وعليه، يرى أصحاب هذا الرأي أنه بالنظر إلى ترتيبات المعاهدة الحالية بين الولايات المتحدة وبنما، ليس بإمكان ترامب السيطرة على القناة بشكل قانوني. ومع ذلك، لا يوجد، طبقاً للتقرير، ما قد يمنعه من الاستيلاء عليها بالقوة العسكرية، ولا سيما أن لواشنطن «سوابق» من التدخلات في أميركا اللاتينية.

ويتابع الموقع أنّ واشنطن تدخلت، مراراً، في شؤون القارة طوال الـ 200 عام السابقة، بهدف منع «توسع الأنظمة والأيديولوجيات التي تعتبرها معادية لمصالحها». وخلال سنوات الحرب الباردة، على سبيل المثال، دبرت الولايات المتحدة أكثر من عشرة انقلابات في القارة، من البرازيل وتشيلي، وصولاً إلى السلفادور وغرينادا، إنما من دون احتلال أراضيها. وفي حين أنّ تلك الممارسات شكلت انتهاكاً لسيادة الدول، إلا أنه لم يتم التعبير «صراحة» عن الرغبة في السيطرة على الأراضي الأجنبية، واكتفت واشنطن، بدلاً من ذلك، بـ«التنصّر أو دعم زعيم» يخدم المصالح الأميركية.

وطبقاً للرأي المتقدم، في حال مضى ترامب قدماً في الاستيلاء على القناة بالقوة، فسيؤدي هذا إلى تقويض مركز الولايات المتحدة في أميركا اللاتينية بشكل كبير، كما قد يدفع العديد من الدول في المنطقة إلى الانسحاب من «منظمة الدول الأميركية»، وهي المؤسسة الحكومية الدولية التي تضم معظم الدول في أميركا الشمالية والجنوبية ومنطقة البحر الكاريبي. والأسوأ ممّا تقدم، بحسب المصدر نفسه، أن القرار المشار إليه قد يشجع أيضاً العديد من الدول المتخوفة على السعي، علناً، إلى إنشاء تحالفات عسكرية مع أعداء الولايات المتحدة، مثل روسيا والصين وإيران، ما يجعل فرص مخاطرة ترامب بتنفيذ تهديداته منخفضة نسبياً.

كندا

أما كندا، التي لم تَسلم من تهديدات ترامب الذي توعّد بجعلها الولاية الـ 51 للولايات المتحدة، فتجهّز جملة من الإجراءات الانتقامية البالغة قيمتها مليارات الدولارات، في حال مضى ترامب قدماً في خطته لفرض تعريفات جمركية على البضائع الكندية، والتي تخاطر بتفجير مواجهة بين بلدين يعدّان أكبر شريكَين تجاريَّين لبعضهما البعض، علماً أن الحكومة الكندية أوضحت أنها ستنتظر تصرفات ترامب، قبل اتخاذ أي إجراء، بحسب صحيفة «نيويورك تايمز». وبعدما كان الكثير من الخبراء قد وضعوا تهديدات ترامب في خانة المواقف «غير الجدية»، فإنّ التلويح ببدء «حرب تجارية» جعلهم يأخذون تلك التهديدات على محمل الجد بشكل أكبر. وحالياً، تظهر استطلاعات الرأي أنّ غالبية الكنديين يعارضون الانضمام إلى الولايات المتحدة.

وتزامناً مع تصريحات ترامب الأخيرة، بدأ العديد من المحللين يستذكرون الأطماع الأميركية السابقة في كندا، التي ظلت، تاريخياً، جزءاً من الطموحات التوسعية الأميركية. وكان لافتاً حديث بعض الوثائق الرسمية عن غزو محتمل لمقاطعات كندية، بما في ذلك «الخطة الحربية الحمراء» عام 1930، وهي وثيقة عسكرية تصف خطة لحرب محتملة الحدوث بين الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية (القوات الحمراء). وآنذاك، تحدثت الخطة عن تفاصيل مروعة حول بدء الهجوم بالغاز السام في مدينة هاليفاكس الكندية، وغزو نيو برونزويك سريعاً، ثمّ احتلال مدينة كيبيك ومونتريال، قبل المطالبة بشلالات نياغارا. وقبل ذلك، وقعت معركة كيبيك، عام 1775، كجزء من محاولة أميركية فاشلة لغزو كندا، وحشد دعم الكنديين الناطقين بالفرنسية ضدّ البريطانيين، قبل أن تليها حرب عام 1812، والتي حاول الأميركيون خلالها الاستيلاء على كندا، في ظل انشغال بريطانيا العظمى بالحروب النابليونية.

◄ مبوب ►

◄ مفقود ►

غادر الأجير البنغلادشي SHAHADAT HOSSEIN عمله لدى شركة سكاف دايري فارم بتاريخ 2021/6/29 نُحمل كل من يشتغل لديه كامل المسؤولية. للمراجعة: 76/493807

ترامب لا «يوفّر» الحلفاء: اللامبالاة كإستراتيجية

كما هو الحال في أقطار الشرق الأوسط المنهمك بـ«ضرب المندل» السياسي في انتظار اتضاح توجهات الإدارة الأميركية المقبلة، يبدو القادة الأوروبيون منهمكين بالإعداد لمرحلة صعبة من التعاطي مع واشنطن في الملفات الثنائية، بدءاً بملف التعرفات الجمركية والعلاقات التجارية بين بروكسل وبكين، وليس انتهاءً بحرب أوكرانيا وآفاق العقوبات على روسيا، ومستقبل «حلف شمال الأطلسي».

إرهاصات صراع تجاري مرتقب

من البوابة التجارية، يتوقع كثيرون أن تطلّ «بشائر» الصدام الأوروبي مع إدارة ترامب: إذ يوضح نائب رئيس مركز «أتلانتيك كاونسل» للدراسات الإستراتيجية والأمنية، ماثيو كرونيغ، أن الرئيس الجديد «سيعطي الأولوية لترسيخ (ما يراه) تدابير تجارية عادلة»، حتى مع الحلفاء الأوروبيين، وليس فقط مع خصومه الدوليين، معتبراً أن ترامب سيكون «أكثر استعداداً لاستخدام التعرفات الجمركية والتهديد بها كأداة للضغط في المفاوضات». وبحسب مصادر ديبلوماسية غربية، فإن الاتحاد الأوروبي انكبّ خلال المدة الماضية على تدارس سيناريوات اندلاع حرب تجارية مع الولايات المتحدة، في حالة فوز ترامب بولاية ثانية. وفي هذا السياق، رأت صحيفة «نيويورك تايمز» أن «فوز ترامب سوف يختبر قدرة حلفاء أميركا الأوروبيين على الحفاظ على التضامن، وبذل المزيد من الجهود لبناء جيوشهم والدفاع عن مصالحهم الاقتصادية»، في وجه مزاجية الرئيس الجديد، كاشفة عن جهود أوروبية لـ«محاولة ضمان استمرار الدعم لأوكرانيا، والحفاظ على استمرارية حلف شمال الأطلسي، إضافة إلى الشروع في صياغة ردود (محتملة) إذا ما نفذ ترامب تهديده بفرض تعرفات جمركية شاملة على السلع (الأوروبية) المستوردة إلى الولايات المتحدة»، سيكون من جملتها فرض المزيد من المنتجات الأميركية، وفرض تعرفات جمركية مضادة.

ومع ذلك، ألمحت الصحيفة الأميركية إلى أن «الأوروبيين سيواصلون تكثيف جهودهم للحفاظ على خطوط الاتصال مفتوحة مع إدارة ترامب الجديدة، وهو ما يفسر لقاء أعضاء من فريق الرئيس «غير القابل للتنبؤ»، بعدد من المسؤولين الأوروبيين في قمة «الناتو» الأخيرة في واشنطن في تموز الماضي، مع الحفاظ على علاقات وثيقة أيضاً بالشرعيين الأميركيين الذين يدعمون التحالف عبر الأطلسي». وعلى هذا الأساس، تستنتج نائبة مدير الدراسات الدولية في «معهد مونتين» في باريس، جورجينا رايت، أن «فوز ترامب مؤلم جداً بالنسبة إلى الأوروبيين، لأنه يضع أمامهم سؤالاً حاولوا جاهدين إخفاءه، ألا وهو: كيف نتعامل مع الولايات المتحدة التي تنظر إلينا كمنافس وليس كجهة صديقة؟»، وتضيف أن التصرفات الأميركية «يجب أن تدفع أوروبا نحو الوحدة»، مبدية في الوقت نفسه تشكيكها في إمكانية تحقق هذه الأخيرة.

«الناتو» وحرب أوكرانيا: نحو «انسحاب أميركي كامل»؟

وبالنظر إلى سجل المواقف السلبية السابقة لترامب من «الناتو»، بخاصة خلال ولايته الأولى، والتي شهدت توتراً بين شقّي الأطلسي، وطبْعاً ابتزازه الصارخ لحلفائه الأوروبيين عبر تلويحه المستمر بالانسحاب من الحلف، فضلاً عن مطالبته أخيراً بضمّ جزيرة غرينلاند، يتوجس صنّاع السياسة في الاتحاد الأوروبي من سيناريو مماثل، يبدو بالنسبة إلى كثيرين، قابلاً للتحقق إلى حد كبير. وتأسيساً على تلك المخاوف، تكشف الباحثة في برنامج «الإستراتيجية الأميركية الكبرى» التابع لـ«مركز ستيمسون للدراسات»، إيما أشفورد، عن وجود «نقاش مفتوح» ضمن الدائرة الأكاديمية المحيطة بترامب، والتي لا تقتصر على القيمين على «مركز تجديد أميركا» للبحوث والمعروف بمدى قربه من الرئيس الأميركي المنتخَب، بل تتعداه إلى شخصيات سياسية ممن شغلوا مناصب رفيعة في إدارة ترامب الأولى، من مثل البريدج كولبي، الذي اختير لمنصب وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسية، وكيث كيلوغ، الذي عُيّن كمبعوث خاص لأوكرانيا وروسيا. وتمخّض ذلك النقاش عن سيناريوات تراوح بين حدّ أقصى يقوم على «إفراغ الحلف من مضمونه» من الناحية العملية، وبين حد أدنى قوامه السعي إلى تقليص التزام الولايات المتحدة بالحلف الغربي. وتضيف أشفورد أن مطالبة واشنطن لحلفائها في «الناتو» بزيادة الإنفاق الدفاعي «ربما تعدّ حتى الآن بمنزلة التجلّي الأوحد» لتلك السيناريوات، مستدركة بأن «القادة الأوروبيين سيكونون حمقى إذا لم يخططوا للأسوأ».

وفي محاولته تفسير مواقف ترامب، يتوقع الخبير العسكري الفرنسي، فرانسوا هيسبورغ، أن «يحافظ الرئيس الجديد على بعض المواقف الواضحة، سواء، لناحية تشكيكه في التحالفات المتعددة الأطراف (كحلف الناتو والاتحاد الأوروبي)، وإعجابه بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين، أو لناحية كراهيته للرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي»، معتبراً أنّ ترامب «محق في مطالبة الأوروبيين بالمزيد من الإنفاق العسكري»، وإن كان تملّصه من موجبات المادة الخامسة من ميثاق «حلف شمال الأطلسي»، والتي تنص على الالتزام بالدفاع الجماعي عن دول الحلف، يعدّ شكلاً من أشكال «الابتزاز»، متوقعاً أن تكون سطوة ترامب في واشنطن «أكبر مما كانت عليه في ولايته الأولى». ويدوره، ينبّه السفير الأميركي السابق لدى «الناتو»، إيفو دالدر، إلى أن المادة المذكورة تشكل اللبنة الأساسية لمصداقية الحلف، محذراً من أن ترامب إنما يسهم بتصرفاته في تقويض هذه المصداقية، على نحو يغري الرئيس الروسي باختبار صلابة «الناتو». ولذا، تشدّد «فورين بوليسي» على أن ترامب، «قد يقرر الانسحاب من الحلف بشكل كامل، من أجل مناكفة الأوروبيين، خصوصاً أنهم لا يشكلون أصولاً إستراتيجية» وفقاً لمنظوره، مستدركةً بأن ذلك قد تحول دون انسحابه، ومن أبرزها «تأييد معظم الأميركيين البقاء في الحلف»، و«المقاومة الكبيرة التي قد تبديها وزارة الدفاع وبعض الجمهوريين في الكونغرس» حيال الأمر.

وفي المقابل، من المتوقع أن يتجاهل ترامب بروكسل، وأن يعمد إلى التركيز على تدعيم العلاقات الثنائية مع الدول الأوروبية كلّ على حدة، وهي الصيغة التي تتمتع فيها واشنطن بالوضعية المثلى أمام تلك الدول، في ضوء، سعي الرئيس الأميركي المنتخَب إلى إضعاف الاتحاد الأوروبي أو حتى تقسيمه. وبحسب مراقبين، تفتح هذه السياسة الباب أمام احتمالين: إما «تكاتف الدول الأوروبية في موقف معارض لسياسة واشنطن، على رغم عدم وضوح مدى استعداد أوروبا للعمل بشكل موحد، وضياع هوية «الدولة الزعيم» المؤهلة للعب دور القيادة؛ في ظل ما تعانيه دول كبرى في التكتل من مشاكل ألمانيا وفرنسا من إضرابات سياسية داخلية، وإما أن تبحث كل دولة عن مصالحها الخاصة»، على نحو ما تؤيده الباحثة في «المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية»، يانا بوغليرين. ومن وجهة نظر هذه الأخيرة، فإذا كانت العلاقات الوطيدة بين ترامب وعدد من زعماء اليمين الأوروبي تسلم الحكم في عواصم عدة، كإيطاليا، وسلوفاكيا، والمجر، تُبلور «تهديداً للقيم الليبرالية» في الغرب، فإن الفوز الانتخابي لشخصية بصفات ترامب يستلزم من أوروبا عدم تجاهل «التغيرات البنيوية العميقة في أميركا»، بما في ذلك تحوّل اهتماماتها نحو آسيا، وإنهاكها المتزايد من مسؤولياتها العالمية، في إشارة إلى الميول الانعزالية للرئيس المنتخب. وبالحديث عن حرب أوكرانيا، تجزم المجلة بوجود «تحول واضح» في الموقف الأميركي من المواجهة بين كييف وموسكو. مع إعطاء ترامب «كل المؤشرات إلى نيته وقف الدعم العسكري لأوكرانيا، والتخلي عن الالتزام المالي تجاهها كأولوية»، مبينة أن «ترامب يريد الخروج من الحرب وسيضغط على كييف لتحقيق ذلك». أما السؤال الجوهري، بحسب المجلة، فيتمثل بـ«ما إذا كان ترامب قادراً بالفعل على إيجاد صفقة قد تحوز رضى كل من كييف وموسكو أم إذا كان سيسحب الولايات المتحدة من الصراع في أوكرانيا وينترك أوروبا وحيدة في التعامل معه».

صحة

الفيلر نجم الساحة... حيوي أم تقليدي؟

غيدا صيداني

لا تتوقّف التطوّرات في مجال العلاجات التجميلية التي تهدف إلى تعزيز مظهر البشرة وإخفاء آثار التقدم في السن. يبرز الفيلر الحيوي (Bio Filler) كأحد الخيارات الحديثة التي تَعِدُ بديلاً «طبيعياً وآمناً» لملء التجاعيد واستعادة شباب البشرة. فما هو؟ وكيف يختلف عن الفيلر التقليدي؟

الفيلر الحيوي هو علاج تجميلي يستخدم مادة هلامية مستخلصة من دم المريض نفسه، وتحديداً من «البلازما» (Platelet-Rich Plasma) المعروف بالـ PRP) أو بروتين الـ«فيبرين» (Platelet-Rich Fibrin) المعروف بالـ PRF)، الغنيّين بالصفائح الدموية. بدأ هذا العلاج باكتساب الشهرة في أوائل العقد الأوّل من الألفية الجديدة، بعدما أظهرت الأبحاث قدرة هذه التقنية على تجديد خلايا الجلد وتحفيز إنتاج الكولاجين. وفي هذا السياق، يؤكد جرّاح التجميل والترميم، جو خوري، أنّ حقن Bio Filler باستخدام تقنيتي الـPRP أو الـPRF قديم جداً ودائماً ما يعاد تسويقه بأسماء مختلفة. ويضيف أنّ الفيلر الحيوي يعمل على تعزيز إنتاج الكولاجين وتجديد البشرة وتختلف نتائجه عن نتائج الفيلر التقليدي.

الفيلر الحيوي vs الفيلر التقليدي

يعتمد الفيلر الحيوي على مكوّنات طبيعية من دم الشخص نفسه، بينما للفيلر التقليدي أنواع عدّة ومواد يتكون منها، مثل «حمض الهيلورونيك» و«الكولاجين»، أو حتى الدهون الموجودة في الجسم.

يحصل المريض على نتائج فورية عند استخدام الفيلر التقليدي، بينما تحتاج نتائج الفيلر الحيوي إلى وقت أكثر للظهور.

يعمل الفيلر الحيوي على تحفيز الكولاجين في البشرة ويزيدها نضارة، فيما نتائجه أكثر طبيعية. ويتميّز التقليدي بأنه يعطي حجماً أكبر للأماكن التي يُحقن فيها.

أما التخلّص من المادة، فممكن مع الفيلر التقليدي عن طريق تذويبه. غير أنّ سحب الفيلر الحيوي غير ممكن لأنه مكوّن من صفائح دموية مُستخرجة من الجسم.

خطوات إجراء الفيلر الحيوي

عملية حقن الفيلر الحيوي بسيطة نسبياً، وتنقسم إلى مراحل. أوّلاً، تُجمع كمية صغيرة من دم المريض تتراوح بين 10 إلى 20 مل، قبل أن تُفصل البلازما الغنية بالصفائح الدموية عن باقي مكوّنات الدم باستخدام جهاز الطرد المركزي. ثم تُحوَّل البلازما إلى هلام بواسطة تقنيات التسخين أو التبريد. وأخيراً، يُحقن هذا الهلام في المناطق المستهدفة لتقليل التجاعيد، وملء الفراغات واستعادة الحجم في مناطق معينة من الوجه، وتحفيز إنتاج الكولاجين. يُعتبر هذا العلاج آمناً عموماً، ولكن قد تكون له بعض الآثار الجانبية الطفيفة التي تشمل التورّم في منطقة الحقن، وكدمات، واحمراراً، وألماً خفيفاً أو انزعاجاً. وهي عادةً ما تكون مؤقتة وتختفي خلال بضعة أيام.

كيف نختار الفيلر المناسب؟

يشدد جو خوري على أنّ اختيار نوع الفيلر يعتمد على النتيجة المرجوّة وطبيعة الحالة. فإذا كان المريض يريد الحصول على مظهر ممتلئ أكثر للشفاه مثلاً، الفيلر التقليدي هو الخيار الأمثل لأنّ الحيوي لا يعطي حجماً أكبر. أما إذا كان المريض يريد بشرة صحية أكثر، فالـ Bio Filler أفضل لأنه يعمل على تحسين نوعية البشرة ويحفز إنتاج الكولاجين الذي يزيد من نضارتها. ويشير خوري إلى أنّ كلا الخيارين آمن، ولكن الفيلر الحيوي ليس الأمثل للمرضى الأكبر سناً، لأنّه «كلما زاد عمر المريض، أصبحت نوعية الدم المستخرج أقل جودة... وليست هناك دراسات كافية عن نسبة تحفيزه للكولاجين في هذه الحالة».

> يتميّز الفيلر الحيوي بأنّه أقل كلفة

أيهما أقل تكلفة؟

ولعلّ التكلفة القليلة من العوامل التي تزيد من شعبية الفيلر الحيوي، لأنّه يمكن الحصول على الكمية المرجوة عبر البلازما أو الـ«فيبرين» من الجسم مباشرة، خصوصاً إذا كان التوجه هو إجراء تحسينات وتعديلات على الوجه ككل. فهذه العملية تتطلب كميات أكبر من الفيلر، ترتفع كلفتها عند اللجوء إلى الفيلر التقليدي بصرف النظر عن العلامة التجارية المستخدمة.

حقن الـ Bio Filler تقنية قديمة يعاد تسويقها بأسماء مختلفة.

علوم

ظاهرتان تتكرّران كلّ 400 عام... العالم يترقّب «موكب الكواكب»

سيتمكّن سكان الأرض من رؤية الحدث الأول في 21 كانون الثاني

في 21 كانون الثاني (يناير) الحالي، يشهد العالم حدثاً فلكياً نادراً يتمثّل في اصطفاف ستة كواكب في سماء الأرض.

هكذا، سيتمكّن سكان الأرض من رؤية الظاهرة التي ينتظرها علماء الفلك وهواة النجوم بلهفة، والمعروفة باسم «موكب الكواكب» (Planetary Parade). وخلالها، يصطف المريخ والمشتري وأورانوس ونبتون والزهرة وزحل في السماء، في حدث لن يتكرّر قبل 400 عام.

ويتوقّع العلماء أن تظهر معظم هذه الكواكب للعين المجردة لكونها تتألّق في السماء، فيما يصعب ذلك بالنسبة إلى كوكبَيْ أورانوس ونبتون اللذين يتطلّبان مناظير أو تلسكوبات لرصدهما.

وفي هذا السياق، تعتبر الساعات القليلة بعد غروب الشمس هي الأمثل لمتابعة الاصطفاف، حيث سيكون المريخ في الشرق، والمشتري في السماء العليا، بينما سيظهر الزهرة وزحل بالقرب من الأفق الجنوبي الغربي، ما سيتجلّى في مشهد مذهل يجمع أربعة كواكب برّاقة في مرمى البصر.

من جانب آخر، سيكون للمريخ ظهوره الخاص خلال الشهر الحالي، إذ سيكون قريباً من الأرض بشكل ملحوظ، ما يجعله يظهر بشكل أكبر وأكثر إشراقاً من المعتاد، الأمر الذي يزيد من جمال مشهد اصطفاف الكواكب.

اصطفاف آخر في الأفق

و في 28 شباط (فبراير) 2025، سيشهد العالم حدثاً مثيراً آخر، إذ ستصطف سبعة كواكب في مشهد فلكي لن يتكرر حتى عام 2492. علماً أنّ هذا الاصطفاف يضمّ عطارد إلى جانب الكواكب المذكورة آنفاً، ما يزيد من روعة المشهد.

ورغم أنّ الكواكب لن تتراصّ في خط مستقيم تماماً كما قد تظهر في الرسوم التوضيحية، إلا أنّها ستتوزع على طول خط وهمي يُعرف بـ«مسار الشمس»، وهو مستوى السماء الذي يسير عليه جميع كواكب النظام الشمسي.

كيفية مشاهدة الظاهرة الفلكية

يستمرّ اصطفاف الكواكب لمدة من الزمن، لكن مع اقتراب فصل الربيع وتزايد ساعات النهار، ستصعب الرؤية.

وتعتبر نهاية الشهر الحالي وبداية شباط المقبل، الوقت الأفضل لرؤية المريخ والمشتري والزهرة وزحل بالعين المجردة، فيما يحتاج كوكبا أورانوس ونبتون إلى تسليح العين.

الجدير ذكره أنّ تلوّث الضوء (Light Pollution) في المدن يصعّب رؤية السماء. لذلك، يُنصح بإعطاء الأعين حوالي نصف ساعة بعد الابتعاد عن الأضواء للتكيّف مع الظلام، إلى جانب الاستعانة بالتطبيقات الفلكية، مثل «ستلاريوم»، التي تساعد في تحديد أوقات ظهور الكواكب ومواقعها بدقة في السماء.

تكنولوجيا

مصائب «تيك توك» عند «دوولينغو» فوائد!

بدأ ملايين الأميركيين بتعلّم لغة الماندرين مع تحوّلهم إلى تطبيقات بديلة، على رأسها «ريد نوت» الصيني، تزامناً مع اقتراب موعد حظر «تيك توك» في الولايات المتحدة، غداً الأحد.

ونظراً إلى اعتماد «ريد نوت» على الماندرين، شهد تطبيق «دوولينغو» لتعلّم اللغات زيادة كبيرة في عدد المستخدمين الأميركيين الذين يرغبون في تعلم اللغة التي تعدّ رئيسية ورسمية في الصين.

ووفقاً لبيان صادر عن Duolingo، ارتفع الإقبال على تعلّم الماندرين في الولايات المتحدة بنسبة 216%، مقارنة بالمدة نفسها من العام الماضي، فيما اعتُبر حظر «تيك توك» الوشيك «سبباً رئيسياً لهذا التحوّل».

زيادة شعبية «دوولينغو»

وبحسب ما نقلته منصة App Figures المتخصصة في تحليل أداء التطبيقات في المتاجر الرقمية، شهد «دوولينغو» ارتفاعاً بنسبة 36% في عدد التنزيلات منذ أوائل كانون الثاني (يناير) الحالي. وترافق هذا الارتفاع مع انتقال المستخدمين إلى «ريد نوت»، في الوقت الذي قفز فيه ترتيب «دوولينغو» في المتاجر الرقمية، في غضون أيام قليلة، ليصبح بين أفضل 20 تطبيقاً.

ارتفع الإقبال على تعلّم الماندرين في أميركا بنسبة 216٪

هل يسرق «ريد نوت» شعبية «تيك توك»؟

يرتبط تزايد اهتمام الأميركيين بتعلّم لغة الماندرين بالهجرة الافتراضية الجماعية التي بدأت بين مستخدمي «تيك توك» استعداداً لقرار الحظر الذي يبدو لا مفرّ منه يوم الأحد.

في هذا السياق، استقبل «ريد نوت» الصيني حوالي 700 ألف مستخدم أميركي خلال يومَيْ الإثنين والثلاثاء الماضيَيْن فقط، ما خلق مساحة التقاء ثقافية «استثنائية» (إيجابية وسلبية) بين الشباب الأميركي والصيني عبر التطبيق.

لكن تجربة «ريد نوت» لا تزال في مراحلها الأولى، وحماسة الأميركيين الحالية لتعلّم الماندرين قد تتحوّل إلى حاجز لغوي يبعدهم عن المنصة التابعة لشركة «بايت دانس» الصينية المالكة لـ «تيك توك».

من جهة أخرى وحتى كتابة هذه السطور، لم يقتنع حوالى 170 مليون «تيكتوكر» أميركياً بالتطبيق الصيني البديل، إلا أنّ سريان الحظر يوم الأحد كفيل في إيضاح المشهد بشكل أفضل.

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4722

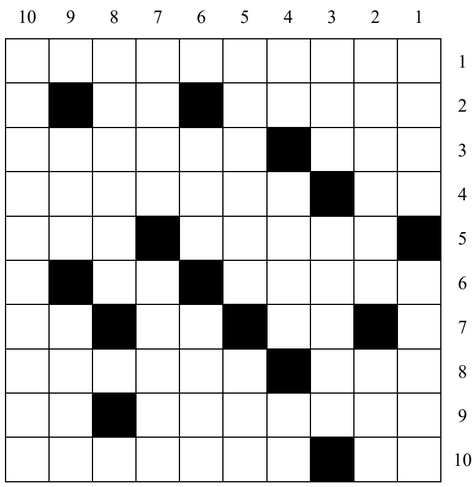

افقيا

1- من أسواق القاهرة في مصر – 2- بلدة لبنانية في قضاء كسروان – صوت الطفل إذا بكى – 3- قطع الإصبع – من سياسيي أثينا في العصور القديمة – 4- عبودية – أسرة قياصرة روسيا – 5- دولة اسيوية – اداة شرط وتوكيد – 6- سيارة بلغة العامة – حرف جر – 7- صاح التيس – هجم – سعل – 8- ضمير منفصل – لقب امبراطور اليابان – 9- لاعب كرة قدم برتغالي – لحم غير مطبوخ – 10- أشار – مخرج سينمائي إنكليزي راحل له أفلام رعب وإثارة

عمودياً

1- مدينة سعودية – من الكواكب – 2- إستصغار – الة الحائك – 3- إستعمل المنشار – دولة عربية – 4- حرف عطف – مخيف ومرعب – للتاوه – 5- عاصمة أوروبية – مدة العيش – 6- مرض يصيب العيون – عثرت المنزل – 7- مدينة إيطالية – مخفر بالعامية – 8- ضد يخفيان الخير – 9- نهار وليل – اقترب – 10- فنان تشكيلي لبناني راحل

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- مارون كرم – 2- شيشرون – فلو – 3- ينحف – شمتوا – 4- غش – هما – أمن – 5- أتبّ – كسيح – 6- نا – ١١١١ – ما – 7- يدور – ليتر – 8- كناريا – ورل – 9- ليوناردو – 10- الياس سركيس

عمودياً

1- مشيغان – كلا – 2- اينشتاين – 3- رشح – دالي – 4- ورفه – اوريا – 5- نو – مكاريوس – 6- كنشاسا – أنس – 7- يال – آر – 8- مفتاح – يورك – 9- لوم – متردي – 10- خوان كارلوس

sudoku 4722

5	8	9		6				
			1	4	3		5	
						6	7	2
7	9	1						
	3		6		9		8	
						3	9	1
9	6	2						
	5		8	7	1			
				9		4	3	5

حلول الشبكة السابقة

3	5	9	8	4	6	7	2	1
8	2	7	9	5	1	6	4	3
6	4	1	7	3	2	5	8	9
2	9	6	1	8	4	3	7	5
5	7	3	6	2	9	4	1	8
1	8	4	5	7	3	2	9	6
9	6	2	3	1	7	8	5	4
4	1	5	2	6	8	9	3	7
7	3	8	4	9	5	1	6	2

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 19

كلمة السر من 6 حروف : دولة افريقية

اثيوبيا – اوغندا – امة – تونس – تشاد – توغو – جزر – سنغال – سيشل – صك – ضد – غينيا – غابون – غانا – كينيا – ليسوتو – ليبيا – مدغشقر – مالي – مصر – نيجر – وطن

ي	ل	ا	م	ا	ج	ت	و	ن	س					
ا	ي	ر	ي	ا	د	ن	غ	و	ا					
ك	ث	ن	ق	ن	و	ب	ا	غ	ب					
ص	ي	ي	ن	ش	س	ن	غ	ا	ل					
غ	ل	و	و	ي	غ	ت	و	غ	و					
ا	ي	ك	ا	ب	ج	د	ن	ط	و					
ن	س	ي	ي	ت	ي	ر	م	د	س					
و	ا	ن	ب	ا	ر	ا	م	ا	ي					
غ	ت	ي	ي	م	ز	ض	ص	ش	ش					
ي	و	ا	ل	ة	ج	د	ر	ت	ل					

حلول الشبكة السابقة: روبك

عملية حسابية 19

شروط اللعبة:
ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	–	23	٪		=	10
–		–		X		
60	–		X		=	92
X		X		+		
	X		–		=	21
=		=		=		
78		72		37		

حلول الشبكة السابقة

91	٪	7	X	6	=	78
–		+		+		
56	–	20	٪	6	=	6
X		X		X		
2	+	3	X	8	=	40
=		=		=		
70		81		96		

شبكة العنكبوت 19

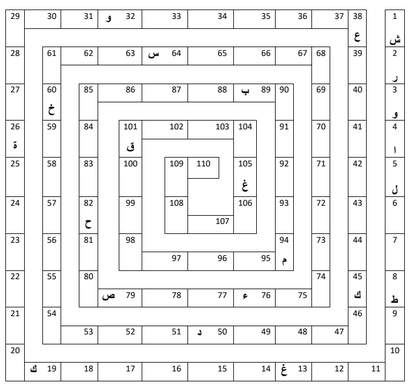

1 – 5 لباس فضفاض تقليدي قديم
4 – 15 شاعر لبناني راحل لقب بشاعر الصبا والجمال
15 – 23 رئيس حكومة لبناني راحل
22 – 33 فنانة سورية من اغانيها « الحب لي كان »
33 – 39 بلي
38 – 42 مجموع عنيف ثباغت
41 – 52 دائرة معارف فرنسية اصدرها ديدرو
51 – 56 عاصمة الكاميرون
55 – 59 عملة عربية
58 – 64 عالم يوناني قديم اكتشف مبدأ الاجسام المغمورة في سائل ما
63 – 68 قوانين الدول العليا
68 – 82 رأس في أقاصي افريقيا الجنوبية اكتشفه فاسكو دا غاما
81 – 84 جزر
83 – 88 احدى القارات
87 – 91 جزيرة سياحية ايطالية
90 – 93 عملة عربية
92 – 98 شاعر عباسي
97 – 101 رابات
100 – 103 رتبة عسكرية
102 – 108 بقاجلون
108 – 110 والدة الأمير المعني فخر الدين الثاني

حل شبكة العنكبوت السابقة

ارزون – ونتستر – ترينيداد وتوباغو – غوار – ارتياح – احسان المنذر – ذراع – عبد الحليم حافظ – فقليع – عرين – ناجي العلي – ليز سركيسيان – انشطار – اربيل – ليفربول – ولاس – اسامة بن لادن – دنانير – برتوي – يخترعون

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 4722

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

الملكة القرينة لبريطانيا. أعطتها الملكة اليزابيث الراحلة لقب دوقة كورنوال

11+1+9+6+7 = ماركة أقلام ■ 2+3+4+5 = عاصمة البيرو ■ 9+7+10+8 = خلاف أصغر

حل الشبكة الماضية: **محمد الخراشي**

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 18 كانون الثاني 2025 العدد 5405

رحيل

ديفيد لينش
مُخرج الجنون والهذيان وروح أميركا المظلمة

شفيق طبارة

كلّ فيلم من أفلامه هو سراب حلم منحوت من سيلولويد قابل للتلف، قصة حلم متعفّن، رعب خالص يكمن في مخلوق يشبه كابوساً مختبئاً في زقاق... رعب ندخله من أذن مقطوعة مرمية على الأرض، أو سرّ يُحفظ في مكعّب متعدد المعاني. دخل المخرج الأميركي ديفيد لينش (1946 – 2025) إلى ظلمة العقل، في طيات الرعب الميتافيزيقي حيث تتوسع الرؤى والهلوسات إزاء عالم مغلق على نفسه، مع الأضواء الخافتة للتعبيرية، والضوضاء غير المرئية، والصوت المتواصل المزعج للرياح التي تحفّز الأفكار التي تتغذى على الذكريات العتيقة، في المناطق الطبيعية الخيالية التي تعزز العزلة. هنا تولد شخصياته لتصبح وحشاً صارخاً لامعاً، ينبض ويتحلل. يفحص لينش جدران المنازل ذات النوافذ المسدودة بالطوب، ويخترقها بنظره ليلاحظ الكائنات الحية في واقع مدمر.

عمل لينش على آليات الزمن عبر إعادة تكوين المساحات بالصوت، وبأشكال وخطوط غير مسبوقة، ودعانا إلى الدخول في هذا البُعد الذي لا يرحم، في لعبة من الاستعارات، في ثبات يؤكد على شعور الذعر. الذعر الذي نجده في «بلو فيلفيت» (1986ـ Blue Velvet)، في ثبات رجل ميت واقف، بينما ندخل السر عبر أذن مقطوعة نحو هوس خانق يخترق عالماً تحت الأرض. يلوث لينش المناظر الطبيعية، ويحكي عالماً مريضاً غارقاً في مناخ من الذعر. ويحدث الشيء نفسه في «توين بيكس» (Twin Peaks)، حيث يتدفق السرد عبر الإضاءات والأحداث ذات المعنى المعلّق في بلدة صغيرة، ويُطرح السؤال الأشهر: «من قتل لورا بالمر؟».

عالم ديفيد لينش غريب، لكنه قريب من عالمنا، ينسجه بلغة سينمائية متاخمة للّاوعي والخيال والأحلام، التي تقوّض مخطط البداية والوسط والنهاية المحددة. تتعارض الصور مع منطق الأشياء في «إيريزهيد» (1977ـ Eraserhead)، مع قفزات في الزمان والمكان، وهي في الواقع، لا تظهر حتى على أنها قفزات، لأن منطق الزمان والمكان نفسه يُعدَّل عبر تصرفات الشخصيات، وعدم خطية الزمن. وفي «لوست هايواي» (1977ـ Lost Highway)، العبارة التي تفتتح القصة، هي نفسها التي تنهيها أيضاً، لكن إذا كان فريد ماديسون (بيلي بولمان) هو الذي سمعها في البداية عبر جهاز الاتصال الداخلي في منزله، فإنه في النهاية هو الذي

يقولها بنفسه، كأن نهاية الفيلم عادت إلى نقطة بداية القصة التي يتم سردها. وفي «أنلاند أمباير» (2006 ـ Inland Empire)، يضيف فقدان الهوية انفصالاً مطلقاً، تماماً كما في «وايلد آت هارد» (1990 ـ Wild at Heart)، حيث يشكل الفصام والازدواجية عوامل أساسية. ومع «الرجل الفيل» (1980، The Elephant Man)، تتحول هياكل الخيال نحو مجاز القرن التاسع عشر، ونحو وحشية تتحدى كل شيء، عن غريب فقير تحول إلى جاذبية مثيرة للاشمئزاز، في محاولة أخيرة ليصبح أخيراً، بالنسبة إلى الجميع، إنساناً.

من المدهش كيف وضع لينش قدميه بثبات في أرض أميركا في «قصة ستريت» (1999،The Straight Story)، الذي يعدّ قصيدة في مديح البطء وقصة اكتشاف مؤلمة وضرورية للذات قبل الضياع في نجوم السماء. ولكنه عاد ليغوص مرة أخرى في متاهات العوالم الموازية، بين ذكريات الماضي السائلة والهويات المراوغة في «مالهولاند درايف» (2001 ـ Mulholland Drive). في إحدى لقطات التلاشي في هذه المتاهة، التي تم تنظيمها وفقاً لمنطق الحلم، تكمن جثة متعفنة غرقت في «بوربون» بؤسها بلكنة لا تتناسب مع مظهرها الرومانسي الجميل الهش. من هنا يهبط بنا الفيلم إلى دوامة، إلى ذلك المظهر الأرضي للجحيم، الذي نطلق عليه اسم «هوليوود» متنكرةً في زي ديني زائف. «مولهولاند درايف» كابوس يستغرق ساعتين ونصف ساعة يحمل الكثير من الرمزية والمجاز، حيث يسجن لينش المشاهد داخله، من دون تبرير أي شيء، فالكوابيس لا تحتاج إلى تفسير.

مزج لينش سوريالية ماغريت ومان راي بواقعية إدوارد هوبر والصورة الشعبية للحياة اليومية لأميركا الريفية، وبث فيها روحاً مظلمة تشير إلى أنّ شيئاً غريباً يحدث. أفلامه خيال هذياني، تأخذنا إليه شخصيات أيقونية، وتفسح في المجال لمسار من الغموض لم ولن ينتهي. كثير من أعماله عبارة عن استيلاءات من فنانين وإعادة تفسير لأنواع سينمائية مختلفة، مثل الخيال العلمي، و«النوار» (Noir)، وأفلام الطريق والرعب، باستخدام الكليشيهات الرئيسية لهذه الأنواع بهدف تقويضها. طوّر لينش نوعاً من الواقعية المفرطة، وشكّل سينما بناءً على التناقضات والتشابهات بين الوهم والواقع، العقل والجنون، العالم الداخلي والخارجي، وعالم الكبار والأطفال. اسمه تحوّل إلى صفة، ودخل المصطلح التحليلي النقدي منذ عقود، فعندما نقول عن فيلم إنه «لينشي»، نعرف بالفعل ما نشير إليه.

مات ديفيد لينش أول من أمس، وترك عالماً يعتبره مزيجاً من الضوضاء والغرائب، تركنا ولا يزال يبيعنا جنونه، في أفلامه وموسيقاه وفنونه البصرية والأدبية، في لوحاته وأغانيه، في قناته على «يوتيوب»، حيث يتلاعب بعقولنا، عبر فيديوهاته القصيرة، وتوقعات الطقس، وحزازير الأرقام، أو ليعلمنا كيف نصلح بنطالاً مثقوباً. يجرفنا لينش ببساطة نحو عربدة صورة، هو أحاسيس لا محدودة، لعبة مرايا غير مرئية، يربط الأفكار بطريقة غريزية عاطفية، بدلاً من المنطق والتسلسل. إنه ببساطة لينش، قواعده مُلكه، فنان بما يكفي ليعرف أنّه لا يهم ما هو مهمّ، بل كيف يروى. لينش كان ولا زال وسيبقى يفعل ما يريد كيفما يريد... هو الذي قال مرةً «لديّ اتصال مع القمر».

تحية

عصام عبد الله «عند القمر»

رنا علوش

أثناء جولته الموسيقية في مصر عام 2023، شنّ الاحتلال الصهيوني إبادته على قطاع غزّة، وامتد عدوانه إلى جنوب لبنان. لم يكن في مقدور الفنّان زياد سحّاب سوى إيقاف جولته بسبب القهر الذي حلّ به. وفور إيقافه للجولة، جاءه خبر استشهاد المصور الصحافي اللبناني عصام عبد الله، الذي قتله الاحتلال الصهيوني أثناء تغطيته للعدوان على جنوب لبنان. يقول سحّاب لنا: «عصام استشهد في الوقت الذي كانت فيه ملصقات جولتي تحمل صوراً من توقيعه. لم تكن صداقتنا وطيدة جداً بمعنى أننا كنا نتحادث ونلتقي يومياً، لكن حين كنت ألتقيه، كنا نتسامر سوياً في مواضيع عميقة». عندما جاءه خبر استشهاد عبد الله، كانت الكلمات هي الشيء الوحيد الذي قد ينفّس عن سحّاب في الوقت الذي كان فيه بعيداً عن لبنان. وكان الكاتب والشاعر المصري محمد خير يستمع إلى صديقه سحّاب وهو يتحدّث عن عبد الله، فاستلهم نصّ الأغنية:

«سافرتوا ليه عند القمر
سبتونا ليه في نص الطريق؟
دلوقتي ساكنين في الصوَر
بتوجعوا قلب الصديق»

«عند القمر» هو عنوان الأغنية التي أطلقها زياد سحّاب أخيراً على منصّة يوتيوب، بعدما غنّاها مرةً واحدة في حفلته التي جاءت ضمن فعاليات مهرجان «ربيع بيروت»، الذي نُظّم في شهر حزيران (يونيو) الماضي. الأغنية مُهداة إلى روح المصوّر الصحافي اللبناني الذي استشهد جرّاء القصف الإسرائيلي في 13 تشرين الأوّل (أكتوبر) 2023، أثناء تغطيته للعدوان الصهيوني على جنوب لبنان. الأغنية، التي كتب كلماتها المصري

محمد خير، هي من تلحين وغناء وعزف (العود) سحّاب، ويشارك في تأدية موسيقاها كلٌّ من: خليل البابا (كمان)، وسام دبّول (قانون)، وإيلي توميّة وإيلي سمعان (كيبورد)، ووليد ناصر وسلمان بعلبكي وعبدو صوما (إيقاع).

يشير سحّاب إلى أنّه عند سماعه كلمات خير، وُلد اللحن تلقائياً في ذهنه، ولكن حزنه على استشهاد عبد الله جعله غير قادر على تقديم الأغنية. حتى أثناء التدريبات مع الفرقة الموسيقية، لم يستطع غناء كلماتها، وكانت المرة الوحيدة التي غنّاها فيها خلال حفلته في مهرجان «ربيع بيروت».

يُذكر أنّ أغنية «عند القمر» تأتي أيضاً بمنزلة افتتاحية لسلسلة أعمال مسجّلة من الحفلات التي أحياها سحّاب في الآونة الأخيرة، وسيطلقها قريباً على منصّة «يوتيوب». ومن ضمن هذه السلسلة، حفلة صوفية أحياها سحّاب في مهرجان «تنوير»، الذي أُقيم في مدينة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)، ورافقه فيها المنشد التنزاني يحيى حسين. كما يُحضّر سحّاب لإطلاق ألبوم جديد مع المغنية نادين حسن.

حريات

دراكولا غزّة يخاف بلومنتال وحسيني

«لماذا سمحت بارتكاب محرقة عصرنا؟ ما هو شعورك عندما يكون إرثك هو الإبادة الجماعية؟» هكذا توجه الصحافي ماكس بلومنتال، المحرر في موقع «غراي زون»، بالسؤال إلى وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن خلال مؤتمر صحافي عُقد أخيراً في قاعة المؤتمرات الصحافية في وزارة الخارجية الأميركية في واشنطن. ولكن سرعان ما تدخل عناصر الأمن وأخرجوا بلومنتال من القاعة بسبب سؤاله الذي لم ينل إعجاب بلينكن، الذي تجاهله تماماً.

لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد: بعد إخراج بلومنتال مباشرة، توجه الصحافي الفلسطيني ـ الأميركي المستقل، سام حسيني، بسؤال آخر إلى بلينكن: «أنت مجرم حرب، لماذا لست في لاهاي؟» (مقر المحكمة الجنائية الدولية). وعلى الفور، تدخل عناصر الأمن مرة أخرى وقاموا بإخراج حسيني من القاعة بالقوة. هذه الأسئلة وُجّهت إلى بلينكن عقب انتهائه من خطابه الصحافي في المؤتمر، الذي خصصه ليكون الأخير قبل مغادرته منصبه. مع ذلك، اختار تجاهل الأسئلة، بينما أُخرج الصحافيان اللذان طرحاها بالقوة من المؤتمر، رغم كونه وزير خارجية دولة تزعم احترام الديموقراطية وحرية الرأي والتعبير ونشرها في أصقاع الأرض! والأدهى من ذلك، أن جميع الصحافيين الحاضرين في المؤتمر لم يبدوا أي رد فعل على إخراج زميليهما بالقوة، رغم أن هذا التصرف يُعد تهديداً واضحاً لحرية الصحافة في الولايات المتحدة.

يُذكر أنها ليست المرة الأولى التي يُتهم فيها بلينكن بالتورط في الإبادة الجماعية التي يشنها الاحتلال على قطاع غزة منذ أكثر من عام. قبل أيام، تواجد بلينكن في «مركز أبحاث المجلس الأطلسي» (واشنطن)، للحديث عن هدنة لوقف الحرب في غزة، إلا أن ناشطين مؤيدين لفلسطين قاطعوا كلمته وهتفوا بلقبه الجديد: «وزير الإبادة الجماعية» قبل إخراجهم أيضاً من القاعة بواسطة قوى الأمن.

عناصر الأمن وهم يخرجون سام حسيني

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01 /666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 18 كانون الثاني 2025
العدد 5405 السنة التاسعة عشرة
Samedi 18 Janvier 2025 no 5405 19ème année

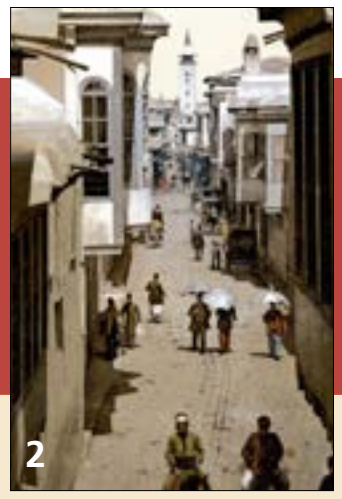
2

نكبة نصارى الشام ...
كي لا يتكرّر التاريخ مرتين

(غولدن كوزموس ـ برلين)

معرض القاهرة للكتاب «كله تحت السيطرة»

القاهرة ـ **علاء عمر**

مع اقتراب ذكرى 25 يناير في مصر، سواء كانت كذكرى للثورة أو لعيد الشرطة، تنطلق الدورة الـ56 من «معرض القاهرة الدولي للكتاب» في 23 من الشهر الجاري لتستمر حتى الخامس من شباط (فبراير) المقبل.

وقد بدأت دور النشر المصرية في الإعلان عن مؤلفاتها المشاركة في المعرض، فكان لافتاً تركيزها على الروايات والسير الذاتية في مقابل غياب ملحوظ للكتاب السياسي، الذي لم تعد دور النشر تتحمّس لنشره منذ سنوات، مخافة الضغوط الأمنية التي أصبحت تتحكم بإدارة ملفات النشر والإعلام في مصر.

ورغم الإعلان عن مشاركة أكثر من 1300 دار هذا العام، إلا أنّ «دار المرايا» المصرية أصدرت بياناً أعلنت فيه أنّ «الهيئة العامة للكتاب» المنظمة للمعرض، منعتها من المشاركة من دون إبداء الأسباب. وأشار البيان إلى أنّ «المرايا» تقدمت كما تفعل كل عام بتسجيل اشتراكها في المواعيد المقررة، إلا أنّها فوجئت بإغلاق حسابها على موقع المعرض. ورغم تدخل اتحاد الناشرين وبعض «الأصدقاء» وفقاً لبيان الدار، إلا أنّ الهيئة أصرّت على موقفها. وأعاد منع «المرايا» إلى الأذهان ما حصل سابقاً مع «دار تنمية للنشر»، وصاحبها خالد لطفي الذي سُجن على إثر بيع الدار نسخاً من كتاب «الملاك» الذي يحكي سيرة أشرف مروان صهر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وحقيقة علاقته بإسرائيل. وسُجن لطفي خمس سنوات، فيما مُنعت «دار تنمية» من المشاركة في معرض الكتاب. والمفارقة أنّ «تنمية» ستشارك هذا العام وفقاً لما أعلن لطفي، موجّهاً الشكر إلى «الأصدقاء الذين توسطوا لحلّ الأمر مع الدولة».

وعبر المعرض الذي سينطلق تحت شعار «اقرأ... في البدء كان الكلمة»، أعلنت وزارة الثقافة عن مبادرة «المليون كتاب» ستوزَّع على المؤسسات والوزارات، فيما أُعلن أنّ شخصية هذا العام هي أحمد مستجير (1934 ـ 2006) الذي يعدّ رائداً في مجال الهندسة الوراثية، وقد أصدر عدداً من الدراسات العلمية، إلى جانب النصوص الأدبية والترجمات الشعرية. كما ستكون الكاتبة فاطمة المعدول، شخصية معرض كتب الطفل، إذ تعدّ المعدول من أبرز كتّاب أدب الطفل في مصر، أصدرت نحو 50 كتاباً وأخرجت أعمالاً متنوعة للمسرح. واختارت وزارة الثقافة، سلطنة عمان كضيف شرف هذا العام، ورومانيا للدورة المقبلة، ثم قطر للدورة التي تليها. وقال رئيس «الهيئة العامة للكتاب» أحمد بهي الدين، إن دورة هذا العام تشهد ندوات وحوارات في مختلف الموضوعات الثقافية التي تهمّ القارئ المصري والأجنبي.

ملف

بعد سماع الكلام الذي أطلقه من دمشق البطريرك الأرثوذكسيّ، في اليوم الأوّل من هذه السنة، امتدّت اليد إلى المكتبة، وسُحبت الكتاب المدوَّن على كعبه عنوانٌ «نكبة نصارى الشام» (رياض الريس ــ 2021)، الذي تأجّلت قراءته مرّاتٍ عدّةً في السنة الفائتة. صحيح أنّ عالم اليوم لا يشبه عالمَ مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلا أنّ هناك بعض نقاط الالتقاء والظروف السياسية المشتركة بين اليوم والأمس. لذا، تبدو قراءة الكتاب مهمة بهدف «دراسة تلك الفتنة بعمق، ليس نبشاً لماضٍ أسود بهدف التحريض وإثارة الفتن، بل لنتعلّم منه، أملاً في ألّا يُعاد أبداً» كما يقول مؤلّف الكتاب، المؤرّخ والأكاديمي سامي مروان مبيّض

ساري موسى

نكبة نصارى الشام ... كي لا يتكـرّر التاريخ مرتين

كانت لافتةً الدعوة التي وجّهها بطريرك أنطاكية وسائر المشرق الأرثوذكسيّ، يوحنا العاشر يازجي، أثناء عظته في قدّاس رأس السنة الميلاديّة (كنسيًّا هو عيد القدّيس باسيليوس)، إلى رأس السلطة السياسيّة الجديدة في سوريا، أحمد الشرع، لزيارة دار البطريركيّة في باب توما، التي منح أرضها الأمويُّون للمسيحيين، تعويضاً عن استيلائهم على ضريح القديس يوحنا المعمدان، حيث بنوا الجامع الأمويّ.

لم يسبق للبطريرك الأرثوذكسيّ أن تحدّث في أمورٍ لها علاقةٌ بالسياسة من على منبر الكنيسة، لكنّ الظروف المستجدّة اضطرّته إلى ذلك؛ فسوريا تعيش مرحلةً تأسيسيّةً شبيهةً بمرحلة ستينيات القرن الماضي، التي تحدّد بموجب نتائجها شكل نظام الحكم في البلاد لأكثر من نصف قرن. أحيت المرحلة الجديدة، التي بدأت في 8 كانون الأول 2024، المخاوف المُبرَّرة لدى المكوّن المسيحي، المتعلّقة بالخشية من تجاهل رأيه في مستقبل البلد وشكل نظام الحكم فيه، الذي تسعى «هيئة تحرير الشام» إلى أن تكون الشريعة الإسلاميّة أساسه. فقد قال يازجي إنّه لم يتلقَّ دعوةً إلى مؤتمر الحوار الوطنيّ الذي يجري الحديث عنه، بصفته التمثيليّة لمسيحيي سوريا، التي يشاركه فيها. وفقاً لما قال، البطريركان الأخران اللذان يقع مقرُّ كرسيهما الرسوليّ في دمشق، أي بطريرك الروم الكاثوليك وبطريرك السريان الأرثوذكس، رغم أنّ وفداً من الطوائف المسيحيّة زار الشرع قبل يوم واحدٍ من العطة والتقاه في قصر الشعب، ورغم أنّ السلطة الجديدة أوفدت ممثلَين لها إلى محافظات كاللاذقية والسويداء، التقوا فيها رؤساء روحيين لطوائف سوريّة، ووقفوا على هواجسهم ومطالبهم. وفي الوقت نفسه الذي كان يازجي يتكلّم فيه، كانت وزارة التربية والتعليم السوريّة تُصدر تعديلاتٍ عدة على المناهج الدراسيّة، اعتبرت بموجب بعضها أنّ المسيحيين «ضالّون»، أي نفت عنهم حقّهم في المساواة الكاملة مع مواطنيهم المسلمين، الذين يمكن أن يبدأوا بالنظر إليهم وتمييزهم على هذا الأساس منذ مجاورتهم لهم على مقاعد الدراسة. وبالتالي، من المفهوم بعد ذلك ألّا تعاملهم السلطة الجديدة، ذات الخلفيّة الدينيّة المتشدّدة، معاملة النِّدّ.

تاريخٌ تمّ تجاهله دوماً

يُعدّ الباحث والمؤرّخ سامي مروان مبيّض (1978) من أبرز المهتمّين بتاريخ دمشق. ومن بين الكتب التي وضعها في هذا الشأن كتاب «نكبة نصارى دمشق، أهل ذِمّة السلطنة وانتفاضة 1860» الذي يضيء على حدثٍ مهول، دائماً ما تمّ تجاهله تحت ذريعة الحفاظ على «الوحدة الوطنيّة». حتى إنّ رئيس الوزراء السوري بعد الاستقلال عن فرنسا، فارس الخوري، لم يأتِ على ذكر تلك الأحداث في أوراقه أو خُطبه، رغم أنّه فقد جدّه لأمّه فيها. المصادر العربية التي تحدّثت عن تلك النكبة، على امتداد أكثر من مئةٍ وخمسين عاماً، تُعدّ على أصابع اليد الواحدة، بينما يمكن العثور على مرقياتٍ عدة ومذكّراتٍ لدبلوماسيين ومُبشّرين أجانب، في أرشيفات وزارات الخارجية لدول أوروبيّة، وتحديداً بريطانيا وفرنسا، ذكروا فيها ما عايشوه من دمارٍ وجثثٍ وفوضى ونهب.

في دمشق، تُعرف حوادث عام 1860 شعبياً باسم «طوشة النصارى». تسمية جائرةٌ بحسب المؤلّف، «لأنّ مسيحيي الشام لم يطوشوا، بل طاش بعض المسلمين عليهم». في صيف ذلك العام، وقعت في باب توما وبعض حارات القبمرليّة (التسمية العامّة لـ«أيا ماريا») نسبةً إلى الكاتدرائيّة المريميّة) مجزرةٌ رهيبةٌ على مدى سبعة أيّام بلياليها، راح ضحيّتها خمسة آلاف مسيحيّ من أصل اثنين وعشرين ألفاً كانوا يقطنون داخل أسوار المدينة القديمة، وهو العدد التقريبيّ للمهاجمين المُسلّحين، وهُدم 1200 منزلٍ من منازلهم. ينقل المؤرّخ أنّ القتل وصل إلى ذروته في الأيام الثلاثة الأولى، وبدأ بالانحسار التدريجي حتى اليوم الثامن، بعد تدمير الحيّ المسيحيّ بأكمله، وخلوّه من أيّ روحٍ أو أيّ شيءٍ قابلٍ للسرقة والنهب.

حكاية ما جرى

في باب توما بدأ كلُّ شيءٍ بعبث أولاد، كما بدأ في جبل لبنان قبل أشهر من أجل طائر حَجَل، على ما تقول الحكايات، إذ دلّ هذا على شيءٍ، فإنّما يدلّ على درجة الشحن التي بلغتها النفوس، ولهذا أسبابه التي سنذكرها في الفقرة اللاحقة، قبل أن تُتّخذ من أيّ حادثةٍ ذريعةً للتفريغ والعدوان، مع التأكيد على أنّ هذه ليست حالة عامّةً على الإطلاق، فالكثير من المسلمين خبّأوا المسيحيين في بيوتهم وحموهم، وابنرزهم الأمير عبد القادر الجزائري وعمر العابد.

صبيحة السابع من تموز من ذلك العام المشؤوم، دخلت مجموعةٌ من الفتيان الذين تراوح أعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة إلى حي باب توما، وبدأوا باستفزاز أهله المسيحيين أستفزازاتٍ دينيّة، تكرّر هذا الأمر مرّتين بعد هذه المرة الأولى، رغم أنّ الجنود العثمانيين كانوا يقبضون على الأولاد ويودعونهم المخفر لساعات. لكن في المرة الثالثة، ثار احتجاجٌ بسبب تكرار اعتقال الأولاد، فاطلقت مجموعةٌ من المحكومين الخارجين من المخفر سراحهم من أيدي الجنود (قيل لاحقاً إنّ والي دمشق، أحمد عزّت باشا، تعمّد إطلاق سراحهم لتأجيج الاضطراب)، وتوجّهت معهم إلى الحيّ المسيحيّ.

أطلق ضابطٌ عثمانيٌّ النار على المهاجمين الموتورين لمنعهم من اقتحام الحي، فقُتل منهم اثنان. لكنّ الخبر ضُخّم، وشاع أنّ عدد المقتولين بلغ أربعين، ما أدّى إلى توجّه أبناء الأحياء المحيطة بباب توما إليه، واندلاع أعمال القتل والحرق والنهب والاغتصاب، وكان من أبرز من قتلوا الخوري يوسف حداد (القديس يوسف الدمشقي)، كاهن الكنيسة المريميّة والمسؤول عن المدرسة البطريركيّة المعروفة بالأسيّة، الذي سُحل في الطرقات إلى أن تهشّم جسده، بعدما عرفه المهاجمون. وقد أعلن المجمع الأنطاكي المُقدّس قداسته عام 1993.

> مسلمون كثر خبّأوا المسيحيين في بيوتهم وحموهم، وابنرزهم الأمير عبد القادر الجزائري وعمر العابد

أسباب «الطوشة» وتأثير ثورة 1831

لماذا تردّدت أصداء الفتنة التي اندلعت في جبل لبنان بين الموارنة والدروز في دمشق دوناً عن بيروت؟ لذلك عدد من الأسباب، التي ارتبطت بواقع الحياة في ظل حكم الإمبراطوريّة العثمانيّة الضعيفة والمدينة والمنقوصة الاستقلال، التي كَثُر في مدنها حضور قناصل الدول الغربيّة وتدخّلاتهم، فقد كانت دولهم تستغلّ أيّ ضعفٍ في الإمبراطورية للتعميق تسلّلها وحضورها في أراضيها المترامية، وخصوصاً في المشرق العربي بحُجّة حماية الأقلّيّات، عبر الجمعيات الإغاثيّة والمؤسّسات التعليميّة المموّلة منها.

هناك أولاً الإحساس بالتخلّي والغبن الذي ساد بين مسلمي دمشق والدولة العثمانيّة بسبب إحدى موجات الإصلاحات، التي عُرفت باسم «التنظيمات»، التي كان العثمانيون يلجأون إليها سحباً لذريعةٍ لطالما تذرّع بها الأوروبيون للتدخّل في شؤونهم، بغضّ النظر عن قابليّة مجتمعاتهم لاستيعاب المتغيّرات المُدخَلة عليها. فرضت هذه الإجراءات الجديدة في عام 1856 التساوي التامّ أمام القانون بين المسلمين والمسيحيين، الذين ظلّوا يُعدّون من «أهل الذِّمّة» لزمن طويل، وهو ما اعتبره كثيرٌ من فقهاء ذلك العصر مُخالفاً للشريعة الإسلاميّة.

الأسباب الاقتصاديّة التي لا تحدث القلاقل إلّا عند اضطرابها كانت حاضرةً بالطبع. ففي عام 1848، ضرب المدينة وباء الكوليرا، فعطّل الحياة فيها وتسبّب في وفاة الآلاف. ثم دمّر الشتاء القارس محصول الفواكه في الغوطة الشرقيّة، بالتزامن مع فرض الدولة العثمانية ضرائب عالية على أصحاب المواشي ومُلّاك الأراضي. وأخيراً نفذ احتياطي الحبوب في ولاية دمشق، ما أدّى إلى ارتفاع حادّ في أسعار الخبز وإلى أعمال شغب. أما أبرز التحديات الاقتصاديّة على الإطلاق، فتمثّلت في تراجع صناعة النسيج والحرير تحديداً عند الصناعيين المسلمين، لأنّ زملاءهم المسيحيين بقوا مساريين لأحدث الاختراعات العالمية وقادرين على الحصول عليها بفعل علاقاتهم بالأوروبيين، الذين صرّفوا بضاعتهم عن طريقهم أيضاً، ولأنّ العثمانيين فتحوا باب الاستيراد بضرائب قليلة، ورفعوا في المقابل الضرائب على التصدير. كلّ ما سبق أدّى إلى انقلاب سيطرة الصناعيين المسلمين على صناعة المنسوجات لمصلحة الصناعيين المسيحيين.

أمّا السبب الأهمّ الذي يعتبر مبيّض أنّه لا يمكن فهم أحداث عام 1860 من دون الرجوع إليه، فهو ثورة عام 1831، وتأتي بعده من حيث الأهميّة مدة حكم إبراهيم باشا القصيرة لدمشق. في عام 1831، فرضت الدولة العثمانية ضريبةً جديدةً على مواطنيها عُرفت بضريبة «الصليان»، وهي خاصّة بالمسلمين حصراً، وتنصّ على دفع مبلغٍ ماليٍّ على كلّ مفتاحٍ (أي عقار) يملكه الشخص.

رفض الدمشقيون دفع هذه الضريبة، فعزل الباب العالي والي دمشق الذي فشل في انتزاع المال الذي تحتاجه خزينة السلطنة من الناس، وعيّن سليم باشا والياً جديداً، وهو الذي كان صدراً أعظم (أي رئيساً للوزراء) قبل ثلاث سنواتٍ فقط، وله خبرة في قمع الثورات كما فعل في اليونان. لكنّ الدمشقيين زادوا من عصيانهم بقيادة زعمائهم التقليديين، وتمكّنوا من قتل سليم باشا وتشتيت قوّاته. يشير مبيّض إلى أنّ هذه الثورة غيّرت من ذهنيّة أبناء المدينة وتعامل زعمائهم مع العثمانيين، وخصوصاً أنّهم لم يعاقبوهم على ما اقترفوه كما كانوا يخشون ويتحسّبون، وأثبتت لهم أنّهم قادرون على توحيد صفوفهم وتجاوز الفروقات فيما بينهم من أجل تحقيق أهدافهم.

أما مدة الحكم المصري التي امتدّت بين عامَي 1832 و1840، فقد أتت بعدما استغلّ محمد علي باشا الضعف العثماني لوضع خط دفاعٍ متقدّمٍ في الشام يقيه هجماتهم. قاد حملته البريّة والبحريّة هذه ابنه إبراهيم باشا، الذي دخل دمشق حاملاً أفكار الدولة الحديثة التي لم يعتدها أبناء المدينة الغارقة في الزعامات التقليدية. أمر إبراهيم باشا برفع كل مظاهر التمييز عن المسيحيين، وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات والتوظيف في المراكز الحكومية، وحمى حرّيتهم في الممارسة الدينية واللباس والتنقّل وحتى شرب الخمر، فكثرت الخمّارات التي كانوا يجلسون فيها ويشربون علناً، ما أثار حفيظة المسلمين وغضبهم، كما أنّه سمح بدخول بعثاتٍ دبلوماسيّةٍ للدول الأوروبيّة، لم تكن معتمدةً في أراضي السلطنة قبل ذلك. دعم قناصل هذه الدول المسيحيين، ومنحوهم وكالاتٍ أجنبيّة زادت من دخلهم وحوّلتهم إلى أصحاب ثروات، وكان ذلك بالطبع على حساب المسلمين.

المسؤوليّة والعبر

نظراً إلى كلّ ما سبق، كانت الظروف مُهيّأةً لاندلاع هذه الفتنة، التي يمكن أن يحضر فيها، كما هي الحال مع كلّ فتنةٍ أهليّة، السؤال الذي يطرحه سامي مروان مبيّض في نهاية كتابه: هل كانت أحداث 1860 فتنةً أهليّةً استغلّتها دولٌ خارجيّةٌ للتدخّل في الشؤون الداخليّة؟ أم أنّها مؤامرةٌ خارجيّةٌ وجدت في هذه الفتنة حاملاً لها ليتدخّل أصحابها في شؤون مدينةٍ كان لها دورٌ أساسيٌّ في الاقتصاد العالميّ، عبر صناعة الحرير الطبيعي التي كانت مزدهرةً فيها وتخرّبت بشكلٍ شبه كامل بعد الفتنة؟ فقبل هذه الفتنة بنحو 15 عاماً، «ضرب مرضٌ دودة الحرير في الصين وفرنسا، أدّى إلى شبه انقراضٍ في صناعاتهم واعتمادٍ شبه كُلّيٍّ على صناعة دمشق، التي باتت أعيانها من المسيحيين تحديداً يتحكّمون بمادة الحرير الأوّليّة، وبأسعارها العالميّة». وهو ما يُعتقد أنّه من الأسباب التي دفعت الأوروبيين، وتحديداً الفرنسيين، لإشعال هذه الفتنة، وفق إحدى الفرضيات. وهناك، وفق فرضيّةٍ أخرى، ما يُشير إلى دورٍ للحكومة العثمانيّة عبر تقاعس الدولة العثمانيّة في إيقاف المذبحة، فهي لم تتدخّل إلا بعد أسبوع كامل من بدء القتل، في حين أنّه كان بإمكانها إيقافه منذ اليوم الأوّل. أما الفرضيّة الأخيرة فتُحمّل وكذلك أهل دمشق أنفسهم مسؤوليةً ما حدث في أزقّة مدينتهم العتيقة، فـ«مكوّنات المجتمع الدمشقي بالعموم لم تشعر يوماً بأنها تنتمي إلى مدينةٍ تجمعها، بل إلى ملل وطوائف وزعامات، لكلّ واحدةٍ منها «دمشق» كما يتخيّلونها ويريدونها أن تكون» وفق ما يؤكّد المؤلّف، قبل أن يتابع في وصفٍ يجمع بين زمن موضوع كتابه والحاضر الذي كان يضع فيه هذا الكتاب، قائلاً إنّه «رغم كلّ مظاهر العيش المشترك والحضارة والتمدّن، في أوقات المصائب والمحن، كانت كلّ مجموعةٍ تعود إلى أصولها القبليّة (...) وينطبق هذا الكلام على الطوائف أيضاً». فقد فاقم قلق أهل المدينة وشحن أعصابهم ما تردّد من شائعاتٍ كاذبةٍ تزعم أنّ المسيحيين في زحلة قد سحقوا الدروز، وهم يتوجّهون نحو دمشق.

أسئلة راهنة

في الفصل الأخير من كتابه «نكبة نصارى الشام»، يطرح سامي مروان مبيّض «أسئلةً للتاريخ» بحسب عنوان الفصل. بقيت هذه الأسئلة من دون أجوبةٍ إلى الآن، وما زالت بالتالي أسئلةً راهنة، وخصوصاً أنّنا أمام جريمة إبادةٍ جماعيّةٍ لم تُحدَّد هويّةٌ مرتكبيها. نورد في ما يأتي مطلع هذا الفصل:

بعد كل ما ذُكِر يبقى سؤال واحد: من كان المسؤول عن مجازر دمشق عام 1860، العثمانيون أم الأوروبيون أم الدمشقيون أنفسهم؟

هناك لوم كبير على والي دمشق أحمد عزت باشا الذي تخاذل في حماية الحي المسيحي، وشارك في تأجيج المشاعر الطائفية بعدم ضبطه لشائعات الشارع الدمشقي قبل الأحداث وخلالها. لعله يتحمل المسؤولية الأكبر، لكونه وليّ أمر الناس، المؤتمن على حياتهم وأرزاقهم، لكن هل كان تراخيه فرديّاً أم جزءاً من سياسة غير معلنة لحكومة بلاده؟ هناك مسؤولية كبيرة على الحكومة المركزية في إسطنبول، لا شك، التي تأخرت كثيراً في إيفاد وزير خارجيتها فؤاد باشا إلى دمشق، مدعوماً بتعزيزات عسكرية، لوضع حد لنيران الفتنة. لو أرادت، لكان بوسعها إنهاء الفتنة من يومها الأول، بدلاً من أن تنتظر أسبوعاً كاملاً للتدخل. ولكن لو أردنا القول إن العثمانيين كانوا وراء المجزرة بمفردهم، فما مصلحتهم في تدمير الحي المسيحي، وقتل خمسة آلاف شخص، وإعطاء ذريعة فاضحة للأوروبيين للتدخل في شؤونهم الداخلية؟ المسيحيون في دمشق لم يكونوا يشكلون خطراً على الدولة العثمانية، فلا أطماع سياسية لهم ولا نزعة انفصالية. على العكس، كانت صناعتهم تشكل مصدر دخل ثابت للخزينة العامة، التي كانت بأمسّ الحاجة إلى المال. الفتك بالحيّ المسيحي وتدمير كل المصانع والورش في داخله أضرّ بالاقتصاد العثماني، وبسمعة السلطان شخصياً، الذي ظهر أمام المجتمع الدولي بمظهر الضعيف والعاجز عن حماية رعاياه، قد يقول البعض إن العثمانيين أرادوا التخلص من المسيحيين لأسباب طائفية، أو خوفاً على دولتهم من علاقة هذا المجتمع بالغرب. في حال أن المسيحيين كانوا هم الهدف حقاً، لِمَ لم تطاول يد الغوغاء المسيحيين من سكان حيّ الميدان؟ كان بوسع الدولة أن تسمح للرعاع بدخول الميدان وأن يعبثوا به تماماً كما فعلوا في باب توما، ولكن هذا لم يحصل. لم يُقتل مسيحيٌّ واحدٌ في الميدان خلال «الطوشة»، ولم يتعرض أحد لكنائس الميدان.

ثم تأتي الفرضية الثانية، بأن الأوروبيين كانوا وراء ما حدث في دمشق، بسبب خلافاتهم القديمة مع السلطان العثماني. العلاقة بين الدولة والمسيحيين كانت منظمة تنظيماً دقيقاً عبر قانون «نظام الملل»، ولو طبقه الولاة بنحو عادل ومنظم، لما كان من داعٍ لإعطاء الأوروبيين حق «الحماية» للمسيحيين، التي أغضبت المسلمين وكرست الأحقاد والدسائس ضد المكون المسيحي في المجتمع. ثم جاءت «الامتيازات» التي انتزعتها الدول الأوروبية من السلطان العثماني، وكانت أخطر من نظام الحماية، أعطت القناصل حقوقاً كثيرة، كان من بينها التدخل في الشؤون السياسية اليومية، وإقامة محاكم خاصة بهم، وإيجاد نظام ضمن النظام يدعى «الحماية القنصلية». التخلص من المسيحيين لم يكن الهدف بحد ذاته، ولكنه أعطى تلك الدول ذريعة بسمة للتدخل العسكري والسياسي في شؤون السلطنة، استمر من دون انقطاع حتى هزيمتها على أيدي الأوروبيين مع نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918. قتل المسيحيين كان مجرد جسر، أرادت تلك الدول الأوربية العبور من طريقه إلى قلب السلطنة، لضربها من الداخل.

هناك فرضية تقول إن الروم الأرثوذكس كانوا هم المستهدفين الحقيقيين، وليس كل المسيحيين، لكونهم سكان هذا المشرق الأصليين. وهذا كلام صحيح بالنسبة إلى مسيحيي البلقان واليونان، لا بلادنا، الذين باتوا يشكلون خطراً حقيقياً على حكم الدولة العثمانية في أوروبا. أما نظرية أن الأوروبيين أرادوا فتنة الستين للتخلص من الصناعات المسيحية الدمشقية لأنها كانت تهدد اقتصاداتهم، فهي قائمة أيضاً، وبقوة. كانت دمشق يومها أهم مدينة صناعية في المشرق، تضاهي كبرى المدن الأوروبية، قريبة من مرافئ بحرية، فيها حرفيون ماهرون ومواد أولية رخيصة، إضافة إلى أكثر من 200 صناعة محلية، أهمها وأربحها الحرير والنسيج. كان الفرنسيون يستوردون كامل الكمية الفائضة من إنتاج الحرير في ورش دمشق، عبر وسطاء دمشقيين مسيحيين، بعد تلبية هذه الورش لحاجة السوق المحلية (...) نظراً إلى الطلب الأوروبي المتزايد على مادة الحرير، ارتفعت أسعاره العالية بنحو جنوني. لم يبقَ أمام مصنّعي النسيج في العالم إلا حرير لبنان والساحل الذي كان يصبّ كله في ورشات دمشق ودير القمر. كان الحرير مثل الذهب، له سعر متغير كل يوم، ولم يناسب الأوروبيين هذا الارتفاع، وأصبح اعتمادهم على مدينة دمشق محرجاً، مادياً ومعنوياً. وقد حسبوا أن البنية الصناعية الواعدة في دمشق، التي لها امتداداتها التجارية في أوروبا، تمنع عليهم الحصول على خيط الحرير بالأسعار التي تناسبهم. في عام 1860، انتقم الأوروبيون، بواسطة الغوغاء، من مدينة دمشق وحطموا جميع ورشها، بعد سرقة المكينات كلها، إلا الجاكار الميكانيكي الذي لم يفهموا كيفية العمل به، فأحرقوه. في نهاية المطاف، حصلوا على خيط الحرير المطلوب، وهو جوهر الأمر. ورفعوا من عمق قدرتها على التحكم به وبأسعاره من ذلك التاريخ فصاعداً.

أما الاحتمال الأخير، وهو فرضية الأرض الخصبة الحاضرة دوماً لكل أنواع الفتن، فهو قائم، وخير دليل على ذلك هو كل ما حدث في سوريا في السنوات القليلة الماضية.

سامي مروان مبيّض: كاتب ومؤرّخ سوريّ ورئيس مجلس أمناء «مؤسسة تاريخ دمشق». أصدر مجموعة من المؤلّفات عن تاريخ مدينة دمشق المعاصر. عمل في ميادين التدريس والصحافة، ووضع كتُباً وأبحاثاً باللغتين العربيّة والإنكليزيّة عن موضوعات كانت منسيّةً أو مُغيَّبة في تاريخ دمشق الحديث. من كتبه: «تاريخ دمشق المنسي: أربع حكايات 1916 . 1936»، و«شرق الجامع الأموي: المسوغيّة الدمشقيّة 1868 . 1965»، و«غرب كنيس دمشق: محاولات صهيونيّة لاختراق المجتمع السوري 1924 . 1954»، و«عبد الناصر والتأميم: وقائع الانقلاب الاقتصاديّ في سورية» صادرة جميعها عن دار «رياض الريس».

سرد

في شرقنا طفلٌ يرقص... خوفاً

زينب الموسوي *

شهر مضى على النجاة من حرب لُطّخت فيها أيادي العالمين من سفك دمائنا. استقلّيتُ سيارة أجرة، واتجهت إلى «الحمرا»، المكان الذي يحتضنك بأي هوية كنت، ويبدع في الاحتضان. أمد يدي من النافذة، أحاول إمساك شيء ما. مطر، زمن، أو حتى نفسي. في لحظات العودة إلى الحياة، يصبح لكل شيء قيمة. الأزمنة، الأمكنة، وحتى زحمة السير على الطرقات التي دائماً ما يغضبك. كل شيء يدلّ على أنك حيّ يصير ذا قيمة. وبما أنني على موعد مع فصل من طفولتي، فأنا من الأحياء المتجذّرين في الماضي الممتدين في الزمن. هكذا أكون، وهكذا فرضت الحياةُ على الموت كوني.

في مقهى في شارع الحمرا، جلست ليلى قبالتي. لم التقِها منذ اندلاع الحرب على لبنان. كنت أتهيّب مقابلتها وسؤالها عن حالها. هي صديقتي منذ الطفولة، المثقفة التي تروي لك أحداث العالم وحروبه بكل ما للموضوعية من معنى. هذا كله اختفى مذ أنجبت ابنتها، مرام. لقد باتت تتحدث عن الحروب بفكر أم، تخاف على ابنتها من شرارة تندلع في أقصى الأرض، فتتجرّ نيراناً إلى سرير ابنتها. بل حتى إنني لاحظت أنها، في لقائنا الأخير بعد «طوفان الأقصى»، أصبحت أماً لكل أطفال العالم، والغزيين خصوصاً.

يومها أخبرتني أنها منذ اندلاع الحرب على غزة، وأمام مشاهد قتل الأطفال، ترتجف برداً – أو خوفاً - وأنها تشعل سيجارتها باعواد ثقاب، فيسري في فمها طعم دماء. أيحمل المرء من طفولته كل شيء، حتى طعم الدماء في فمه؟

فمنذ حوالى العقدين ونصف العقد من الزمن، جاءتني مرتجفة باكية، تنعى إليّ موت طفلة. هدّأت من روعها لأستفهم عن هوية الميتة، فأجابتني أنها «بائعة كبريت» ماتت، بالأمس، من البرد وعيناها مسمّرتان إلى عود ثقاب تتأمل أن يهبها دفأً أكثر من أملها في الحياة، على رصيف شارع تشرف عليه نوافذ من اتخمتهم الموائد، وأسكرهم الدفء حدّ الهذيان. لم تنم في تلك الليلة، وفي الصباح، حاولت إخضاع الأمر للتجربة. أخذت علبة أعواد ثقاب، و«سيجارة» - للإنصاف، كانت تجربتان في تجربة واحدة - والتجأت إلى الحديقة الخلفية. أشعلت أعواد الثقاب لتتدفأ منها، ولكنها انطفأت جميعها، وظلت هي تترجف من البرد فيها، أو خوفها. وبعود ثقاب متبقٍّ، أشعلت السيجارة وغرقت في حزنها، عندما شاهدتها والدتها تدخن، ضربتها على فمها وسال الدم منه.

ضممتها في ذاك اليوم، وبكينا سوياً، وقررتُ أن هذا مجرّد عته، فالأطفال لا يموتون «برداً». وإن حدث، فسنضع حداً لهذا الأمر عندما نكبر، وسنجعل أطفال العالم جميعهم يعيشون بسلام. وعندما كبرنا، اكتشفنا صنوفاً أخرى لموت الأطفال، لم نستطع وضع حد لها، ولكن قررنا أن ندعوَ كل من كان يشاهد أفلام الكرتون في زمننا إلى الخضوع لعلاجات نفسية!

-كيف سرت الحرب عليكِ؟

لم أجد طريقة أخرى لقطع حاجزِ الصمت الذي طال بيننا. بعينيْن شاخصتين إلى العدم، ويدين مرتجفتين تحاولان الإمساك بفنجان قهوتها تارة، ويدمعها المنسكب على الوجنتين أخرى، قالت لي: «أتعلمين؟ كان كلٌ منا يشاهد حرب الإبادة في غزة منذ بداية «طوفان الأقصى» بعينٍ مختلفة، واحدة حكمتها السياسة، ثانية حكمتها الجغرافيا، ثالثة حكمتها الديانة/ الطائفة، ونادراً ما حكمتها الإنسانية. أما أنا، وغيري من الأمهات، فرأيناها بعيون الغزيات وأطفالهن. ولكننا جميعنا، بشيء من الإنكار، تناسينا أن عدوّنا الذي خبرناه جيداً يريد أن يبني وطنه القومي على جماجم رجالنا وأوصال أطفالنا، فأجمعنا في اتفاق ضمنيّ - نفسيّ- جماعيّ، أن هذا الموت يحدث «لهم» فقط، في مكان بعيد مهما قربت الجغرافيا أو بعُدت، وأن هذه اللعنة لن تحيق بنا».

كان في عينيها شيء ما قد تحطّم. كان في صوتها المبحوح كلام تحاول دفنه، ولكنه تمرّد عندما قالت: «ولكنها أحاقت بنا في النهاية. لا بأس، نجونا، هكذا يقولون، لذا هناك شيء واحد يستحقّ أن نتكلم عنه بعد اليوم: الأطفال... أطفال الحروب».

في مقهى يعجّ بالناس، وتراه فارغاً إلا مني ومنها ومن ارتجافات يديها المنتظمة، راحت تحدّثني عنهم. «رأيت أطفالاً ترتجف من الخوف! صديقة لي تحدّثني عن أن ابنها كان طوال الحرب يصرخ عندما يسمع صوت انفجار، ولكن الحالة امتدت معه بعد انتهاء الحرب، يكفي أن يُضرب باب بقوة حتّى يبدأ حفلة الصراخ خاصته. أخرى حدّثتني عن تبوّل ابنها اللاإرادي. وتقول جارتي إن أولادها أصبح لديهم فرط في الحركة، لا يهدؤون ولا يكلّون، عدا عن شرودهم وانعدام قدرتهم على الاستيعاب والتركيز. أما ابنة أختي، ففي صمت مطبق. وهنا يكمن الخطر، فقط عينان شاخصتان ما إذا أحست بخطر، وانعدام القدرة على الإتيان بحركة واحدة، أو التفوّه بحرف».

-«ومرام؟» سألتها...

جحظت عيناها، ارتجفت شفتاها، وقالت: «كانت الصواريخ تتساقط في زنّار نار ظننت لوهلة أنه مسحٌ لتاريخنا وحيواتنا وهويتنا الجماعية. أما مرام، فقد رفعت يديها ورقصت».

كادت تتهاوى. استجمعت رباطة جأشها وأضافت: «سمعت من أمهات كثيرات عن حال أطفالهن في الحرب. وحدي كنت أداري إخبارهنّ أنني رأيت طفلتي ترقص. كنت أنظر إليها برعب. خطرت في بالي لحظتئذٍ تفاسير صور كثيرة، عصفور يتحيّن ذبحه فيتحداه بالرقص! فراشة تتراقص حول النور! صوفيٌّ هائم في دائرة العشق الأبدية! مددت يدي وسحبتها إلى صدري. تخيّل إليّ أنني أنتشلها من موت محتّم».

بشيء من القهر الممزوج باللعنة، وبيأس من راوده للتوّ المشيب، أشعلت سيجارتها بعود ثقاب، وقالت: «أظنّ أنك فهمت أن الأطفال يموتون، برداً، جوعاً، قصفاً، حرقاً، تقطيعاً، وحتى خوفاً!»، وأضافت: «أما الناجون منهم، فقد تحدد مستقبلهم للتو. كما تعلمين، الطفولة تحدد معالم المستقبل، تحدد شخصياتنا وعقدنا النفسية أيضاً. وليس الأهالي جميعهم لديهم الثقافة والوعي اللازمين، أو حتى القدرة المادية على إخضاع أطفالهم لعلاجات نفسية». فأجبتها أن هنا تكمن مسؤوليتنا جميعاً وتحدينا الأساسي لنشلّ أطفال مستقبلنا من براثن تبعات الحرب وأثرها النفسي على حيواتهم. هزّت رأسها بأمل ضعيف، أشعلت عود ثقاب مجدداً، راحت تراقب ناره تتراقص، وغرقت في عالم بعيد.

مضى عقدان ونصف عقد من الزمن، ولا زالت ليلى تبحث في عود الثقاب عن المتناقضات. الظلام والنور. البرد والدفء. الفقر والغنى. الأمل واليأس. الشغف والانطفاء. الإيمان والكفر. الحب والكره. الظلم والعدل. الحرب والسلم. الطفولة والمشيب. والشرق والغرب.

مضى عقدان ونصف عقد من الزمن، وكلما أشعلت عود ثقاب تذكرت أنّ الأطفال في شرقنا يموتون، برداً، وجوعاً، وفقراً، وظلماً وجوراً، وإن عاشوا، عاشوا مسلوبي الطفولة، كباراً منذ الميلاد. ولعنت اتفاقية حقوق الطفل، واتفاقيات «جنيف» الأربع – التي تمثل الأساس القانوني الدولي لحماية المدنيين في وقت الحرب –وكل سرديات القوانين والحقوق التي لم تُنصَ من أجلهم، بل من أجل أبناء من شرّعوا القوانين أينما حلّوا.

مضى عقدان ونصف عقد من الزمن، ولا زالت تبحث في عود الثقاب عن أجوبتها، وتشم رائحة دخان، وتستطعم دماً. وبعد عقدين ونصف عقد من الزمن، لا زالت تتساءل، إلى كم عود ثقاب يحتاج الفقير لكي يتدفأ، والظلم لكي يزول، والعدل لكي يسود، والشرق لكي ينتصر، والصوفيّ ليشعل دائرة العشق؟ وإلى كم عود ثقاب يحتاج الطفل كيلا يموت، فقيراً، على رصيف في شارع تشرف عليه نوافذ من أتخمتهم الموائد، وأسكرهم الدفء حدّ الهذيان؟

* بيروت

عيترون في جنوب لبنان (تصوير كورونتي يونو)

نصّ

أطـــراف

غزة ـ تصوير محمود عيسى (2023)

سناء أنطوف *

خبر: الأمم المتحدة: في غزة أكبر عدد من الأطفال المبتوري الأطراف في التاريخ الحديث.

يقطع البشر أغصان الأشجار، فتعود، من جديد.

أما أغصان الأطفال، فلا تعود... بعد البتر.

ما مصيرها؟

هل تُخزّنُ في حاويات زجاجية؟

لتنتظر، بصبر، العودة إلى الأجساد التي اقتُلعت منها؟

لكنّ الفورمالديهايد محروم من الدخول إلى غزة

هل تُلقى في العراء؟

أو في القمامة؟

أم أنها تنتظر من ينتشلها من تحت الركام؟

هل تتجمهر في مكان ما؟

وتشكو بصمت؟

هل تستمر سيقان الأطفال بالعدو؟

هرباً من القنابل؟

هل تطرق الأيادي أبواب السماء؟

أم أنها تصلي؟

هل سينظم العالم أولمبياد «السلام»؟

ويُسمَحُ للأطراف المبتورة أن تتنافس فيه؟

هل هي مدفونة في مكان ما؟

كي يزور قبورها أصحابها

هذا إذا ما ظلوا على قيد الحياة؟

وحين يموتون

هل ستكون أشباحهم مبتورة الأطراف؟

* ماناهاتن/العراق

قصائد

نَفتحُ بِغزّةَ البابَ لِصُراخِنا الطَّويلِ

أنيس غنيمة *

لدينا رجاء هذه المرّة - أن نعود
لنرفع الركام عن أجساد أصدقائنا
ونبكي إلى جانبهم،
هذا المؤجّل طويلاً في العين،
هذه المرّة لدينا أمل،
وسناخذه معنا إلى أين نذهب
إلى المقبرة أو
الحقل
وسنغسل به وسخ الشعوب عن
ملابسنا
والألم من عظامنا
هذه المرّة
- كما كل مرّة
بعينٍ مفتوحة
نفتح الباب لصراخنا
الطويل

■■■

لم يتبق أحد -
هذا ما قالوه للفتاة
ذهبت العائلة في الليل فحسب
طوال أيام ظلّت الفتاة تنادي في
الجهات كلّها،
أمي
أبي
إلى أين؟
إخوتي
دميتي
عصافير الحديقة
حجارة البيت
أنا هنا،

كزهى حفادي ــ «كنا نلعب في الغيمات» (أقلام ملونة على ورق، عن نص لغسان كنفاني ــ 2023)

تعالوا لنتقاسم هذا الرغيف الحلو
لديّ سكر وسكاكر خبأتهما لكم
تحت الوسادة
اخرجي الآن يا أمي من هذا الخوف
وامسحي عني زلّة البرد
ونادي أبي ليحملني
لأنه لم تعد لدي قدمان لأمشي
تعالي الآن
لا تخبري إخوتي

■■■

لفرح الناس هنا أفرح
ولراحتهم أرتاح
ولحزنهم وحدهم هؤلاء
أبكي

■■■

الذين انتظروا طويلاً هذه اللحظة
من في غزّة الآن
وخارج خيامهم في عناق لا ينتهي
التي تزغرد هذه الساعة من بيتها
الأطفال الذين في حلقة واحدة
يصيحون
والصفير الذي يدوّي في كل الآذان
الصيحات التي تعلو
والركض
نحو هذا الفرح
أو هذا البكاء
إليهم
وإليهم وحدهم

■■■

أريد أن أنزل إلى الشارع الآن وأسألهم،
حضن؟
ونذهب معاً متشابكين ومتعانقين
مثل رابطة إخوة
من كبرنا معاً
في هذه المأساة

■■■

إذا كان ثمة رجاء
فليكن العودة إلى البيت،
وإذا كان ثمة ثمن للعودة
فإنني أريد دفعه هناك،
لأنه ما من دم يجري الآن،
وكل ما تبقى في العين
هو عن دموعها فحسب.

* غزة

قصة

فاطمة زعرور وآخرون يروون «حكاية الله»

مهدي زلزلي

اثنان وعشرون كاتباً وكاتبة من لبنان وسوريا والعراق والجزائر وإيران، تناوبوا على سرد قصص المقاومة والصمود في المجموعة القصصية «حكاية الله» (دار الولاء لصناعة النشر ـ 2024).

يتألف الكتاب من فصلين، يضمّ الأول القصص العشر التي وصلت إلى القائمة الطويلة في الدورة الثالثة من «جائزة سليماني العالمية للأدب المقاوم»، التي تنظمها «جمعية أسفار للثقافة والفنون والإعلام»، بينما يضمّ الثاني اثنتي عشرة قصة ارتأت هيئة الجائزة إضافتها إلى الكتاب لتميّزها وارتفاع سويتها الفنية. ومن البديهي أن تتفاوت مستويات القصص داخل الكتب الجماعية، مع تعدّد الكتّاب وتنوّع الأساليب والأجواء والشخصيات، إلا أن انتماء القصص في «حكاية الله» إلى الأدب المقاوم يبقى خيطاً متصلاً يربطها من الصفحة الأولى حتى الأخيرة، سواء دارت أحداث القصة في جنوب لبنان 2006 أم في فلسطين 2024 أم في أي مكان وزمان آخرين.

القضية التي وهبتْ المجموعة عنوانها، «حكاية الله»، كتبتها اللبنانية فاطمة زعرور، وحصلت عبرها على الجائزة. من هذا التاريخ، فهو يتكلّم عن المراحل التي مرّت بها القضية الفلسطينية وهو يعيشها بكامل تفاصيلها، ما يجعل الرواية ذات قيمة عالية بقيمة المقاومة الثقافية والتاريخية. ويتكلم عن العمليات العسكرية البطولية بتفصيل ملحميّ وعاطفيّ، كأنّنا نقرأ «الإلياذة» لهوميروس، أو «الحب في زمن الكوليرا» لماركيز. فالبطولة صناعة وإبداع، واشتعال الحواس على الضروري القادم بأسلوب ملحمي. ونقرأ عن الرموز الفلسطينية، وحياة الاستشهاديين مع أمهاتهن وآبائهن اللواتي يقدمن فلذات أكبادهنّ في سبيل تحرير فلسطين، فهذا تمثّلنا للعالم ونحن صغار، وإيماننا بأن الخير ينتصر حتماً على الشرّ.

وتحاول الخالة بالسرد المضمّن أن تقنعه بأنّ الله ينصرنا إن نصرناه، ويثبّت أقدامنا إن وثقنا به، وتزرع في نفسه المرتاعة بذور الإيمان والثقة والأمل. كيف؟ بـ «تلبين المعاني» بفضل موهبة «اختراع الحكايات» التي تتمتع بها، وتعيد عبرها صياغة العالم.

أما في «البوصلة» للسورية رانية ميكائيل (المرتبة الثانية)، فعبر حكاية المقاوم كاظم، التي تُختتم ببوصلةٍ توضع على قبره بعدما انتهت مهمّته كما انتهت مهمّته في الحياة بشرف، تمكنت الكاتبة من المزاوجة بين السرد المتدفق بسلاسة وبين التصوير الفني البارع، والتكثيف الإيحائي المحكم، إذ يمكن القول إن بوصلة الكاتبة لم تخطئ وجهتها، وحققت المبتغى الفني المنشود ببراعة.

انتماء القصص إلى الأدب المقاوم يبقي خيطاً متصلاً يربطها

وفي «الواحدة والنصف بتوقيت الغيب» (المرتبة الثالثة)، تعالج اللبنانية زينب الضيقة فكرة الحياة الأبدية للشهيد والحضور الدائم لطيفه بين أهله ومحبيه، عبر استعادة قصة متداولة في إيران بطلها شاب يتيم شعر بفداحة فقد أبيه الشهيد حين أراد التقدم لخطبة فتاة اشترطت عائلتها وجود رجل من أهله، وكانت مشكلته تزداد تعقيداً في ظل عدم وجود أحد من أقاربه سوى أمه، لولا رؤية غريبة راها في منامه فأذعن لها وكان فيها الفرج له وألحل لمشكلته.

أما «ثلاثُ طوال انتهت بفاتحة» (المرتبة الرابعة)، للبنانية زينب رضى، فتنهل أيضاً من معين الواقع، ومن قصص شهداء المقاومة في لبنان، مع إضافة بعض التفاصيل الجوهرية التي استقتها الكاتبة من الخيال لإغناء السرد، بعد استذكار عائلة الشهيد المقصود، حيث نكتشف في ختام القصة أن العقدة النفسية لدى الراوي التي تكشف عن نفسها عبر تاتاته ونفوره من رائحة البطاطا المقلية وجزعه أمام نبأ استشهاد شقيقه الذي يتوجب عليه نقله إلى بقية أفراد العائلة، لها أسباب موضوعية تعود إلى ذكرى حملها من طفولته.

وفي «قبّعةٌ ومعطفٌ وأوعيةٌ بيضاء» (المرتبة الخامسة)، تبدع اللبنانية نسرين بدوي في رسم واحدة من حكايات بطولة المقاومين في مواجهة «داعش» في سوريا بريشة فنية بارعة، ومن بينهم الابن الوحيد للبطلة الراوية، عنوان «حين يحبي الميت وطناً» (المرتبة التاسعة)، جمعت اللبنانية مروة شامي بين بيسان التي تهوى المقاومة، وخالد الذي يكاد أن يتورّط في العمالة والتجسس لمصلحة العدو، قبل أن يوقظه حدث كبير، فينتقل إلى التنسيق مع المقاومة، لتأتي الخاتمة جميلة ومدهشة، لغة الكاتبة بين الإيحاء والرمزية والسرد المباشر أحياناً، مع توظيف حَسَن لتقنية الاسترجاع.

وفي «الذائبون عشقاً» (المرتبة السادسة) يجتهد الجزائري بلمهدي عبد المجيد في ابتداع سياق سردي متخيل لحادثة حقيقية هي استشهاد شخصية عراقية معروفة (بنت الهدى شقيقة السيد محمد باقر الصدر) في زنازين صدّام حسين، موظفاً في سبيل ذلك اعترافات ضابط مخابرات المانيّ متقاعد كان النظام السابق قد استعان به كخبير نفسي. واعتمد الكاتب في قصته أسلوباً سينمائياً مدهشاً مع حبكة قوية وتكثيف جيّد، مقدّماً رسالة قيمة تظهر جانباً من جوانب المقاومة السياسية في العراق في عهد القهر والظلم.

وفي نصّ مكثف خالٍ من المباشرة وبعيد عن الشعارات بعنوان «على هدير البحر» (المرتبة السابعة)، يحكي العراقي حسن سلمان قصّة عجوز تسكن مع زوجها في المنفى بعد أن شرّدهما الاحتلال من قريتهم التي فقدا فيها ابنتهما الوحيدة، لتنتهي القصة نهاية بارعة مفتوحة على القراءات المتعددة.

بدوره، يحكي السوري فاتح كلثوم في قصته «طوق النجاة» (المرتبة الثامنة)، مستغرقاً في المجاز والتكثيف والرمزية العنيفة واللغة الشعرية الأنيقة، عن معاناة الناس في مواجهة «داعش» وما صاحبها من تمزّق الأسر ودخولها في فتنة عمياء، لتأتي الخاتمة قوية مفتوحة على التأويل المرير.

وفي قصّة طريفة تقوم على التحليل النفسي وعلى لحظة التنوير، حملت عنوان «حين يحبي الميت وطناً» (المرتبة التاسعة)، جمعت اللبنانية مروة شامي بين بيسان التي تهوى المقاومة، ومن بينهم الابن الوحيد للبطلة الراوية، التي تطل من النافذة في ليلة شتوية شديدة البرودة متطلعة إلى عودته أو سماع خبر عنه، فتتفاجأ بوجود جارها الطاعن في السن، وقد خرج مثلها منتظراً ابنه الوحيد، لتتطور الأحداث بعدها فتصل إلى نهاية غير متوقعة. وتراوح الشوق والشوك سوف يزهر منهما القرنفل ذات فجر، ويحملانا إلى فلسطين ورائحة الشوك الأول، إلى هذا التجذّر في الأرض ومكانتها الخاصة في قلب كل فلسطيني.

ففي قراءة رواية «الشوك والقرنفل» تشتغل في أذهاننا أسئلة الوجود: من نحن؟ ومن هو العدو؟ كأنّهُ يريد أن يقول لنا: «اعرف عدوّك كي تعرف نفسك، من أنت؟ من معك؟ ومن ضدّك؟ لأنّ معرفة العدو هي مقياس لاختبار الحلفاء من الأعداء»، وهنا تكمن التجربة الفلسطينية بكل تجاربها المختلفة جغرافياً وتاريخياً. وتدورُ في ذهننا أسئلة كثيرة: كيف استطاع كتابة المقاوم هناك. ثمّ يعودُ إلى غزة، وتعيش أمّهُ قلق الاعتقال والبحث عنهُ، حتى اعتقل من منزله في مخيّم الشاطئ في غزة أمام عائلته ذات ليلة، حين كان عائداً من سفره، وتبدأ الأم تعيش معاناة وُلدها الأسير في الزنازين. وتقول: «إجت المسكينة تتفرج ما لاقت للفرح مطرح». كما وجدت عند شهيدنا القائد يحيى السنوار قدرتهُ على المزج بين الواقعي تماماً والمتخيّل النسبيّ. لغة الرواية سهلة ورشيقة، وفيها دراما جميلة. إذ يريد للسرد أن يكون شرفتهُ إلى الثأر المقدس، فنحن ندرك أنّ الرواية كتبت في السجن كما هو مُشار فيها، فالتاريخ التسلسلي للتراجيديا الفلسطينية بكامل مراحلها، هو تأريخٌ تفصيليٌّ مثيرٌ للدهشة، والأجيال المقبلة سوف تستفيد من هذا التأريخ، فهو يتكلّم عن المراحل التي مرّت بها القضية الفلسطينية وهو يعيشها بكامل تفاصيلها، ما يجعل الرواية ذات قيمة عالية بقيمة المقاومة الثقافية والتاريخية. ويتكلم عن العمليات العسكرية البطولية بتفصيل ملحميٍّ وعاطفيٍّ، كأنّنا نقرأ «الإلياذة» لهوميروس، أو «الحب في زمن الكوليرا» لماركيز. فالبطولة صناعة وإبداع، واشتعال الحواس على الضروري القادم بأسلوبٍ ملحمي. ونقرأ عن الرموز الفلسطينية، وحياة الاستشهاديين مع أمهاتهن وآبائهن اللواتي يقدمن فلذات أكبادهنّ في سبيل تحرير فلسطين، فهذا

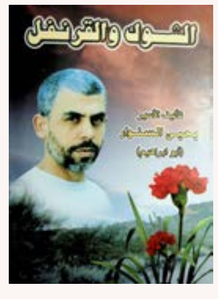

تحية

عودة إلى رواية الشهيد يحيى السنوار

الملحمة الفلسطينية بين «شوكٍ» و«قرنفل»

باسل عبد العال

تتجلّى الملحمة الفلسطينية في رواية «الشوك والقرنفل» (2004) للقائد الشهيد يحيى السنوار بكامل تجلّياتها في الصراع الدائر مع الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين منذ 1948. من الفصل الأول حتى الفصل الثلاثين أي الفصل الأخير، تؤرخ الرواية تاريخاً ملحمياً لهذا الصراع منذ الانتفاضة الأولى إلى الانتفاضة الثانية حتى الاعتقالات، مروراً بالعمليات الفدائية وهي مؤرخة في دراما سردية ماتعة، تحمل المتلقي إلى عوالم البطولة المؤسطرة في صراعنا المستمر مع العدو الصهيوني.

لا تخلو الرواية من الحياة البسيطة للفلسطينيين في قطاع غزة ومخيم الشاطئ تحديداً، حيث العائلة الصغيرة كما يصوّرها القائد الشهيد يحيى السنوار، الحبّة للحياة، والصابرة الصامدة الملحمية بمستقبل أفضل، وهو يتكلم بلسان أحمد، ابن عائلةٍ تتكوّن من أربعة شباب وأربع بنات، هو أحمد، محمود، مها، محمد حسن، فاطمة، وتهاني، يعيش معهم ابن عمهم إبراهيم، في بيتٍ متواضع في المخيم، ويسردُ حكاية العائلة بين التعليمُ والجغرافيا في فلسطين، إذ يسافر محمود إلى مصر ليكمل تعليمهُ هناك، ثمّ ينتقل إلى الضفة الغربية لينتسب إلى جامعة «بيرزيت» ويبدأ بتشكل مجموعات من الشباب للعمل الفدائي ضد الاحتلال، ويتعرّض أحمد للاعتقال، ويقضي في السجن 18 عاماً، ويتزوج من فتاة تدعى «أسيل» ويرزقان بطفلٍ اسمهُ «نور»، ويُختَتَم الفصل الأول بقصة «مكالمات مكتوبة» (المرتبة العاشرة)، لإيرانية مونا اسكندري، وبطلها جندي يتذمر من قائده الذي لا يحبّه لاعتقاده أنه يشكك به أو يتعمّد الحطّ من شأنه، قبل أن يغير رأيه بعد اطلاعه على مكالمات القائد التي كان مكلفاً بالاستماع إليها وتدوين محتواها مع سواها من مكالمات هاتفية.

ولا تبتعد بقية قصص الكتاب من حيث مستواها عن القصص العشر في الفصل الأول، وإن لم يحالفها الحظ في الوصول إلى القائمة الطويلة للجائزة. وإن كان المقام لا يتسع لاستعراضها بالتفصيل، فإن من الإنصاف ذكر أسماء كتّابها، وهم: السوري محمد طعّان الخضر واللبنانيات سلام المقداد وحوراء حجازي وزهراء السيد وبشرى زهوة وليلى كردي وكوثر شقير وليلى عماشا ومروة رزق وزهراء ريحان وميري نور الدين وفاطمة يوشع قصير. وإذا كانت الكتابة الإبداعية تقتضي أن يكون الكاتب ملمّاً بتقنيات ومعايير كتابة النوع الأدبي الذي يختاره، ممتلكاً أدواته، فإن الأدب الملتزم لا يحقق غايته إن لم يكن الكاتب – فوق ذلك - مؤمناً بقضيته بعمق، مستعداً للتضحية من أجلها مثل من يكتب عنهم، وهو ما ينطبق على عدد من المشاركين في هذه المجموعة القصصية، ومنهم فاطمة زعرور التي استشهد والدها المقاوم أثناء تصديه مع رفاقه للعدوان الأخير على لبنان، وسلام المقداد التي استشهد طفلها وشقيقها وعائلته أثناء العدوان.

تصدر قريباً طبعة ثانية من الكتاب عن «دار الولاء» و«دار أسفار» في بيروت، بعدما تعرضت مستودعات دار الولاء في الضاحية الجنوبية للتدمير الكامل بفعل غارة جوية أثناء العدوان الإسرائيلي الأخير، بما فيها من كتب، ومن ضمنها إصدارات الجائزة التي لم يكن قد مضى على صدورها سوى أيام معدودة.

رواية

لينا كريديه... في هجاء الجنس البشري

فاطما خضر

من خصائص الرواية الجيدة: الإبداع والإمتاع، وهذا ما نجحت فيه الروائية البيروتيّة (كما تُعرّف نفسها على غلاف الرواية) لينا كريديه في روايتها «العرجون اللّجين» (دار النهضة العربية ـ 2024).

رواية تحمل في عنوانها تكثيفاً مجازيّاً يُحيلنا إلى العرجون المذكور في الآية الكريمة: «والقمرَ قدّرناهُ منازلَ حتّى عاد كالعرجون القديم»، التي تُشير إلى مراحل تكوّن القمر، أي دورة حياته، وهذا ما ضمّنته كريديه بين دفتي روايتها، مع إحالة المعنى إلى دورة حياة الإنسان. ففي جوّ فانتازيّ، تحيك كريديه حواراً سوريالياً بين بطل روايتها أبراهام دافيد عزرا ومرآته اليهوديّة، التي سُجن فيها بعد وفاته. وكانَ في ذلك عقاباً، لأنّه عاش حياته الأخيرة قبل موته هذا، مُنعزياً هو وعائلته أنّهم مسيحيون لبنانيّون، وليسوا يهوداً لبنانيّين، خوفاً من مجتمع لا يُميّز بين الدين اليهودي والصهيونية كحركة استعماريّة استيطانيّة. فيأتي المقطع الأوّل في الرواية صادماً للقارئ، ليكون بمنزلة صنّارة تتلقّف انتباهه، وتشدّه إلى متابعة القراءة: «منذُ تُوفّيتُ، لم أستطع مغادرة هذا المنزل. لا أعرف السّبب؛ أنا أبراهام عزرا دافيد، توفّيتُ البارحة عصراً، وقد بلغتُ من العمر عتيّاً. وها قد غلقتُ في مرآتي اليهوديّة، وما استطاعت روحي أن تنفذ من جحيم الأرض إلى ما بعدها...».

وهكذا تبقى روح أبراهام عالقة في المرآة حتّى الصفحة الأخيرة، حيث النهاية التراجيديّة، بعد أن يتقاسم أخوه «مناحيم» وأخته «ديانا» وعائلتاهما أصول منزله، كلٌّ بحسب اهتماماته، من دون أن يكترث أحدٌ للكتب النادرة والمهمّة في مكتبته التي عنت له الكثير، وهو البروفسور الحاصل على دكتوراه في النقد الأدبيّ المعاصر من جامعة «السوربون»، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الإنسان يُنسى بعد موته أمام سطوة المال، كأنّه لم يكن. ثمّ تُباع الشقّة لزوجين، يخشى أبراهام أن يُكمل وجوده العالق في قلب المرآة معهما، لكن يتلاشى هذا القلق عندما يتحرّر من سجنه، مع وصول عُمّال لتسلّم ما بقي من مفروشات: «صرخ بهم رئيس العمّال كي يحذروا فلا يكسروا المرآة، ولكنّه ما كاد ينتهي من جملته حتّى ارتطمت بحافة الدرج وتهشّمت قطعاً صغيرة. تشظّت المرآة فشعرت براحة كبيرة... شعرت بحريّة مُطلقة. ما عدت مكبّلاً بالمرآة، وهي أيضاً تحرّرت، كأنّني طائر استعاد جناحيه، وانطلق».

ما بين بداية الرواية «الموت»، ونهايتها «الانعتاق»، تلعب كريديه لعبة مكاشفة فلسفيّة عبر 21 مشهداً، ما بين أبراهام ومرآته اليهوديّة المُقعّرة السوداء. فما لونها الأسود سوى كناية عن قتامة البشريّة بسلوكها وتاريخها منذ الأزل. وما شكلها المُقعّر سوى كناية عن الجمود وتلاشي الشعور، حيث يُمثّل اللاشعور قعر الألم. أمّا المرآة بعينها فكناية عن خبايا الذات، وانعكاسا في المرآة يُرينا وجهنا على حقيقته، لكنّ كريديه تأخذنا بذكاء إلى ما هو أبعد من صورتنا في المرآة، إلى صورة البشريّة ككل، عندما يبدأ أبراهام بالاعتراف للمرآة بخطاياه؛ كأنّها تُشير إلى أنّ الإنسان يتنبّه إلى أخطائه ومعاصيه بعد فوات الأوان، عندما تستحيل فرصة تصحيحها، حتّى وإن تكرّرت حيواته، رُبّما لأنّ الإنسان بذاته ابن الخطيئة والنقص! مع هذه الاعترافات، تختلط عند أبراهام الأمكنة والأزمنة والحيوات، فنسافر معه عبر الزمن في رحلة ارتجاعية، تسرد عبرها كريديه جزءاً من التاريخ العربي واليوناني والمشرقي، وتُحمّل هذا السرد أبعاداً سياسيّة واجتماعيّة ودينيّة وجندريّة، وفقاً لخطاب فكريّ مُشبع بالرمزيّة لتاريخ بشريّة يُعيد نفسه منذ الأزل، وفقاً لشهوة السلطة والجنس والمال، ومبدأ الغاية تُبرّر الوسيلة، وإن تجسّدت هذه الوسيلة بالخيانة، أو بالقتل، أو حتّى بالحرب إن لزم الأمر.

يكفّن تميّز الرواية في قدرة كريديه على التنقيب في وقائع تاريخيّة ومقارنتها بطريقة غير مباشرة مع زمن الراوي المتوفّى، فكما اشتعلت الحروب منذ عصر الجاهلية، وما تلاه، ابتداءً من عصر صدر الإسلام، حيث دُشّت السموم ونُصبت المكائد لهثاً وراء السطوة والسلطة والمال؛ لهاثٌ امتدّ إلى العصر الأمويّ، فالعباسيّ الذي تزامن مع الفاطميين في مصر، واستمرار الأمويين في الأندلس، وحتّى ما بعده من أيوبيين ومماليك وعثمانيين؛ اشتعلت الحروب في زمن الراوي بين بيروت الغربيّة والشرقيّة، وبين شارعي الشيّاح وعين الرمّانة. وكما شهدت الأزمنة المذكورة مئات الخيانات السياسيّة والدينيّة والجندريّة، ينفضح في زمن الراوي أمر جارتهم الجاسوسة «شولا كوهين»، التي عملت على تهريب يهود لبنان إلى الكيان العبري، وإدارة عصابة مؤلّفة من 13 جاسوسة يحترفن الدعارة، إضافة إلى مجموعة موظّفين في وظائف حكومية عالية الشأن، ومجموعة مُهرّبين.

يمتدّ مسلسل الخيانة ليشمل خيانة الرجل للمرأة، فوالد أبراهام خان والدته، لذا يعيش أبراهام عقدة الحياة الزوجيّة، فيختار أن يعيش عازباً، ليخون عشيقاته. سلسلة طويلة من الخيانات، والهزائم، والمكائد، والخيبات تُسيطر على أحداث الرواية، بلغة يتوارى خلفها هجاءُ للجنس البشري وشهواته التي لا تنتهي، ولعب بحتفرن تكرار الماضي من دون ملل: «المرأة: أنت تعترف بأنّك ستستعمل مرآة للسحر إذن. أبراهام: صدقيني، لا حاجة لي بها في السحر. السيناريو ذاته يتكرّر بوجوه عدة. وفي كلّ حياة عشتها، استمرّ العرب على المنوال نفسه مع تعديلات طفيفة شكليّة، تُحافظ على الشكل الخارجي ويبقى جوهرها عالقاً في الزمن الأول. أريدها لغرض آخر وهو العبور».

وسط هذا الجو الغرائبي والسوريالي والكئيب، المشغول بحنكة لجهة مزج الأزمنة والأحداث، تستدعي كريديه أيضاً مجموعة كُتّاب، وتستنبط من أفكارهم وحيواتهم ما ينسجم مع حالات أبراهام المختلفة باختلاف حيواته، وبما يتّسق مع حواره مع المرأة، مثل: عنترة بن شدّاد، السموأل، لويس كارول، تشارلز ديكنز، أغاثا كريستي، باروخ سبينوزا، كافكا، شوبنهاور، محمود درويش... وغيرهم.

هذا تبدو الرواية من عنوانها حتى صفحتها الأخيرة، أشبه بدورة حياة كاملة، ما بين الولادة والموت بالمعنيَين المجازي والاصطلاحي، في فضاء تتنوّع فيه أزمنة عُجنت بسوْس الخيانة وشهوة المال والجنس والسلطة والحروب.

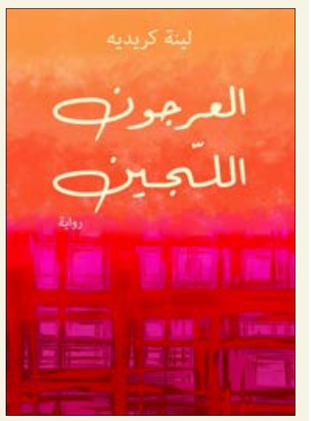

جو غرائبي وسوريالي مشغول بحنكة لجهة مزج الأزمنة والأحداث

لمحات

بدر الحاج

يُمثّل كتاب «الوثائق السرية للاحتلال الفرنسي» (دار كتب) للمؤرخ اللبناني بدر الحاج عملاً توثيقياً استثنائياً يكشف النقاب عن مدة حسّاسة من تاريخ المنطقة العربية إبان الاحتلال الفرنسي. عبر وثائق ديبلوماسية فرنسية، يستعرض الكتاب المساعي الصهيونية للاستيطان في سوريا بين عامي 1895 و1925، مع امتداد بعض الوثائق حتى أربعينيات القرن العشرين. تتجاوز أهمية الكتاب مجرد رصد المحاولات الاستيطانية في المناطق الحدودية، إذ يكشف عن مشاريع طموحة امتدت إلى مناطق مثل تدمر والفرات وسهل الغمق في الإسكندرون وسهل البقاع. يوثق الكتاب، عبر تقارير ديبلوماسية وأمنية فرنسية، تورُّط شخصيات متنوعة من كبار الملّاك والإقطاعيين ورجال الدين والصحافيين والموظفين الرسميين في تسهيل المشروع الصهيوني. تكمن أهمية العمل في كونه أول ترجمة حرفية لهذه الوثائق التاريخية، بالإضافة إلى كشفه عن الدور المحوري للمال الصهيوني في الاستحواذ على الأراضي العربية، وتوثيقه للتعاون بين الإقطاعيين والمنظمات الصهيونية وسلطات الاحتلال.

عاصم بني عامر

يُقدّم الباحث الأردني عاصم بني عامر في كتابه «خطاب الجنس في المورث النقدي عند العرب» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) دراسة جريئة تُحلّل دور الخطاب الجنسي في تشكيل النقد العربي ضمن سياقات ثقافية وسياسية معقّدة. يشرح كيف استغلت السلطة هذا الخطاب كأداة للإخضاع، حيث تم تقنينه لخدمة مصالحها. هذا النهج أثّر على النقد، محوّلاً إياه من وسيلة بنّاءة إلى أداة قهرية قائمة على معايير وصفها الكاتب بالتدميرية، مثل «الفحولة» التي تعكس الإقصاء، و«الطبقات» التي تُجسّد الهيمنة، و«النظم» التي تُكرّس الامتثال القسري. يشير الكاتب إلى أن الخطاب الجنسي لم يكن مجرد انعكاس للواقع، بل أداة لإعادة إنتاج القيم السائدة وترسيخها. عبر تحليل عميق، يطرح الكتاب تساؤلات حول تطوّر خطاب الجنس في التاريخ العربي وأبعاده الثقافية والاجتماعية، مبرزاً علاقته بالسلطة وآليات الهيمنة. يُشكّل الكتاب إضافة نوعية للمكتبة العربية، داعياً إلى إعادة قراءة الموروث النقدي بمنظور حداثي بهدف فهم العلاقة بين الأدب، السلطة، والجنس.

إبراهيم عبد المجيد

تُمثّل رواية «بيت الياسمين» (دار الشروق) للكاتب المصري إبراهيم عبد المجيد توثيقاً أدبياً عميقاً لتحوّلات المجتمع المصري في مدة ما بعد حرب أكتوبر 1973، خصوصاً خلال عهد الرئيس أنور السادات وسياسة الانفتاح الاقتصادي. تدور الأحداث حول شخصية «شجرة محمد علي»، وهو رجل بسيط من عامة الشعب يعيش في الإسكندرية، يعاني من الوحدة والحرمان بعد وفاة والدته وبيع بيت العائلة وانتقاله إلى شقة شبه مهجورة. يعمل شجرة في معمل للسفن ويُكلَّف بتنظيم مسيرات استقبال الرئيس السادات خلال زيارته للإسكندرية، ما يضعه في مواجهة مباشرة مع التحوّلات السياسية والاجتماعية في البلاد. عبر قصص أصدقائه الثلاثة، الذين يمثلون أحلام جيل كامل؛ أحدهم يحلم بالهجرة، وآخر يتزوج بعد وفاة والده، وثالث يختفي بعد التحاقه بالجيش العراقي، تعكس الرواية الطموحات والصراعات الفردية في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة. تقدم الرواية تأملاً عميقاً في التحولات الكبرى التي عصفت بالمجتمع المصري، وتجسد الصراع بين الفرد والواقع الاجتماعي والسياسي، لتكون شهادة أدبية على ذاكرة مصرية حيّة ومعاصرة.

أحمد عيدون

يُمثّل كتاب «الفكر الموسيقي عند الفارابي» (منشورات المتوسط) للمؤرخ والباحث الموسيقي المغربي أحمد عيدون قراءة جديدة تسعى إلى إنصاف الفارابي كفيلسوف مبتكر في مجال الموسيقى، ودحض المُغالطات الاستشراقية التي ادعت تبعيته للفكر اليوناني. يُبرز العمل كيف دمج الفارابي بين الفلسفة، الرياضيات، المنطق، وعلوم اللغة لتأسيس نظرية موسيقية ذات طابع كوني، تجاوزت حدود زمنه وثقافته. يحتوي الكتاب على 678 مصطلحاً تقنياً استخرجها المؤلف من نصوص الفارابي، ما يُبرز دقته في تحليل المسارات النغمية والإيقاعية. يؤكد عيدون أنّ الفارابي لم يكن مجرد ناقل للفكر اليوناني، بل قدم منهجاً نقدياً مبتكراً، يشمل توليد الإيقاعات وتطوير الآلات الموسيقية، ما يعكس رؤيته للموسيقى كعلم شامل يتداخل مع مختلف المجالات الفكرية والجمالية. كما يناقش الكتاب تأثير الفارابي في الفكر العربي الإسلامي وأوروبا خلال العصور الوسطى.

أسامة المقدسي

يضيء «عصر التعايش: الإطار السكوني وصناعة العالم العربي الحديث» (مركز دراسات الوحدة العربية) للباحث الفلسطيني أسامة المقدسي، على تاريخ ثقافة العيش المشترك في المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر في ظل الدولة العثمانية، ممتداً إلى ما بعد سقوطها. يتناول الكتاب كيفية استغلال القوى الاستعمارية الأوروبية التنوّع الديني والعرقي الغني في المنطقة كوسيلة لإضعافها وتقسيمها، عبر تشجيع الاستبداد المحلي وترويج فكرة أن الطائفية مشكلة مزمنة، متجاهلة ما أحدثته الإمبريالية من تشوهات سياسية وثقافية وجغرافية. يدعو المؤلف إلى رواية تاريخ العيش المشترك بوصفه حقيقة متناقضة وغير مثالية، عبر مواجهة الماضي الإسلامي والعثماني بصدق، بعيداً عن السرديات الرومانسية أو المفاهيم الاستعمارية التي رسخت دونية المنطقة مقارنة بالغرب. في سياق تحليله للأحداث، يقدم المقدسي قراءة نقدية حول كيف أسهمت النُخب العربية في إعادة إنتاج الهويات الطائفية بفعل الضغوط الاستعمارية، ما أفضى إلى تغييرات عميقة في بنية المجتمعات العربية.

عقيل الموسوي

يكشف الكاتب البحريني عقيل الموسوي في روايته «البكاؤون» (منشورات تكوين)، عما يجري داخل البيت الشيعي من أفراح وأتراح، وحب وألم، في ظل شبكة من العلاقات الاجتماعية الدقيقة مع الآخر المختلف. تسلط الرواية الضوء على تفاعل الشيعة في البحرين مع جماعات مثل البهائيين، وحركة التجديد، متناولة العلاقات التي تربطهم بهذه الجماعات، بما في ذلك الزواج والتعاملات الاجتماعية. كما تتناول الطقوس المرتبطة بالمآتم، ومجالس العزاء، والإمام الحسين، والصراعات الداخلية ضمن البيت الشيعي. تدور أحداث الرواية في قلب مدينة المنامة القديمة، وتستعرض قصة ثلاثة أجيال مختلفة في رؤاها وطموحاتها، لكنها تتقاطع جميعاً في مشهد مشترك من الحزن والدموع. تتشابك تفاصيل الحياة اليومية المتزامنة مع انعطافات تاريخية كبيرة، خصوصاً مع تأثير الثورة الإسلامية في إيران. تمتاز «البكاؤون» بغناها بالتفاصيل الاجتماعية والطقوسية، وشخصياتها الواقعية التي تُجسّد مشاعر إنسانية عميقة، تجمع بين الحب الرومانسي وصراعات الهوّية السياسية والاجتماعية.

أدونيس

الأصل: داء أم دواء

(حول الحروب الصامتة العربيّة – العربيّة)

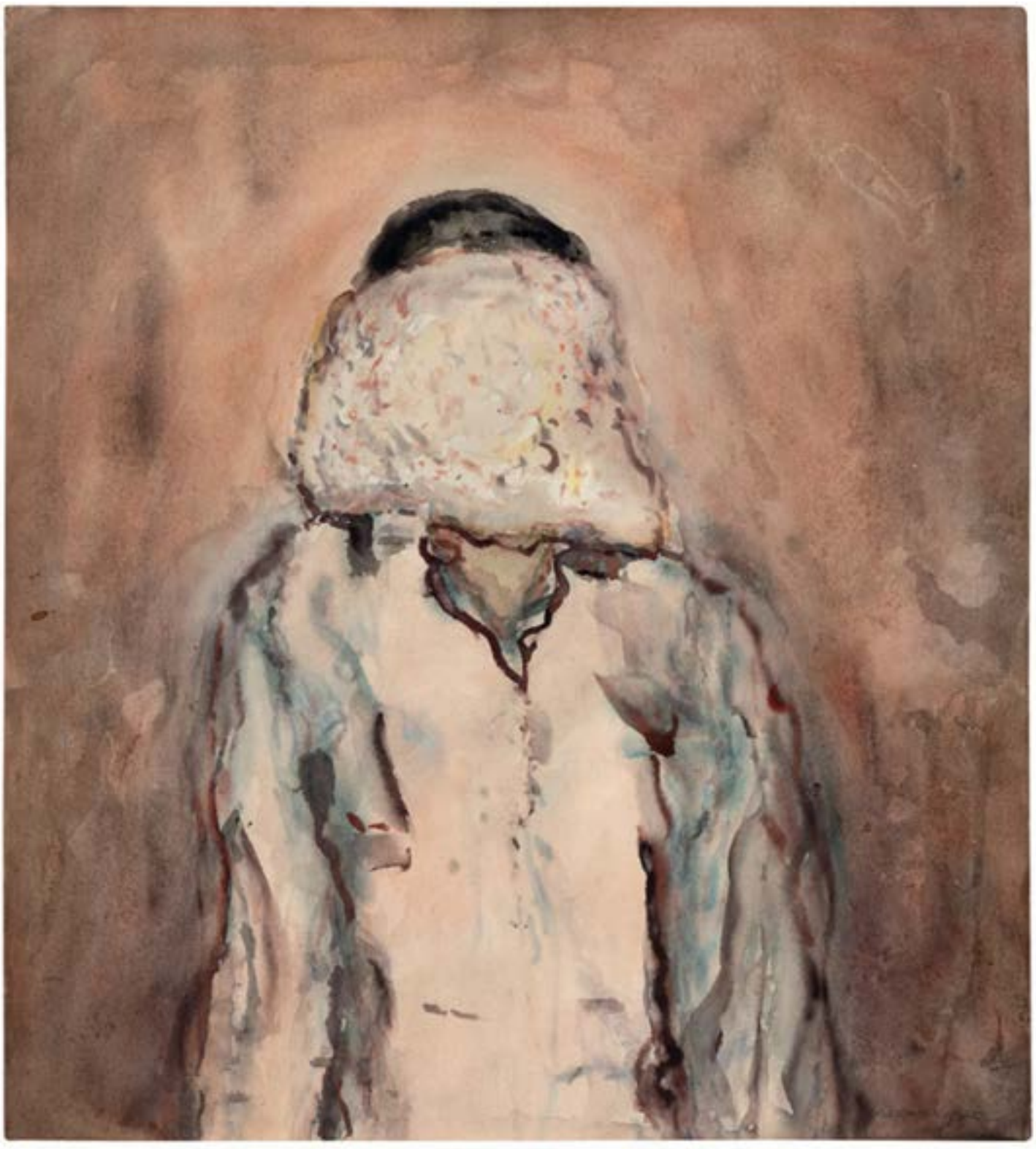

مروان قصاب باشي ــ «من دون عنوان (مغطّى)» (مائيات على ورق ـ 59,8 × 55 سم ـ 1970)

-1-

يفتح العلم أبواباً يُمنَع الدّخول فيها.
يفتح الدين أبواباً يُمنع الخروج منها.

هل أنت «مؤمن»؟ هل أنت «كافر»؟ أيّاً كان جوابك، فأنتَ في «حصار»، وفي هذا الحصار، تكمن «الهوية»، كما تعلّمها الأبجديّة الثقافيّة التي تنحدر من أسطورة «الأصل».

«الأصل»، عندنا، نحن العرب، والسيادة باسمه، هما المشكلة الأولى في تاريخنا السياسي.

كان «الأصل» دائماً بداية تاريخ جديدٍ قام غالباً على العنف. وهي عندنا نحن العرب بدايةً انشقّت، منذ البداية، فصار العنف جزءاً عضويّاً في بنيتها الاجتماعية والثقافية.

وقد أثبتت التجربة التّاريخية أنّ التعايش بين طرفي الانشقاق شبه مستحيل. لا سلام الأنا والأنتَ في شراكة وانفتاح ومساواة.
بل العنف والحرب، إمّا أنتَ وإمّا أنا.

-2-

يقول علماء النفس إن «الأصل» ليس له وجود حقيقيّ أو موضوعيّ.
فالأصل استيهام. غير أنّه استيهام له خصوصيّة اليقين.
أو لنقل: إنه ثوب «مصنوع»، يتراءى كأنّه هو نفسه الجسم.
أو هو تطبّع، يحل محلّ الطَبع.
وتكمن أهمية هذا الاستيهام في أنه يمد جسراً من «المعنى»، من التلاحم والتّواصل العضويّين، بين القائلين به، وبين ما كان، وما هو كائن، وما سيكون.
«الأصل» كُبّة غزل نسج خيوط الذاكرة. انقطاع هذه الخيوط يولّد خللاً: التفكك، التشتت، التبعثر... إلخ.

وتساعد الذّاكرة في ابتكار كلّ ما يحول دون هذا الانقطاع: الأساطير، المعتقدات، الأيديولوجيات، الآداب، الفنون، الفلسفات، والحروب أيضاً.
وهو ابتكار يوهمنا أو يخيّل إلينا أننا نبتكر فيه كل ما يحول دون الزوال والانقراض.

-3-

غير أن الارتباط بالأصول على هذا النّحو يكشف عن رغبةٍ دفينةٍ طاغيةٍ في معاصرة عالَم خارج العصر: معاصرة ما هو قديمٌ قديم وبعيدٌ بعيد. وهذه ظاهرة تطمس الرغبة الأكثر إشعاعاً. تلك الرغبة في العمل والإبداع والحضور الخلّاق. وقد يشتدّ هذا الطمس فيتحول إلى نوع من الشلل أو المرض يصبح فيه الدفاع ضد الموت، موتاً آخر، أو شكلاً من أشكال الموت.
ذلك أن الحياة نفسيّاً وفكرياً في عالَم خارج العصر، إنما هي نوع من الهبوط في هاوية، تبدو فيه الحياة نفسها هاوية، أو تبدو كأنها لا تعني أيّ شيء إلّا بدءاً في محاكاتها الكاملة للأصول والبدايات.

-4-

الشعور بالانفصال عن «الأصول» هو اليوم، عند العرب، وبخاصّة المتدينين، مكوّن أساسُ في النظر والعمل، وفي فهم الهوية والعلاقة بالآخر.
إنه شعور تبدو عبره ثقافة هؤلاء كأنها مجموعة من الظواهر السيكولوجية، وهي ثقافة تبدو في الممارسة أنّها تقوم على كل ما يناقض الفكر والعقل: الخرافيّة، الاختلاق، العدوانية، الاتّهامية، الكذب، الانتفاخ والادّعاء. ثقافة ضدّ الإنسان. ثقافة تنهض جوهريّاً على الإلغاء والعنف. هي في التحليل الأخير إبادة للطاقة العربية وللحاضر العربي، إبادة لمستقبل العرب.